فَضيلَةٌ رائِعَةٌ في
مَجْمُوعَةٍ قَصَصيَّةٍ للأطفالِ



التَّصْمِيمُ وَالعَزِيمَةُ

DETERMINATION

ماري جوزيف

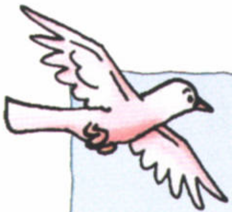
5 قصص شيقة





فَضِيْلَةٌ رَائِعَةٌ فِي
مَجْمُوْعَةٍ قَصَصِيَّةٍ لِلْأَطْفَالِ

التَّصْمِيْمُ وَالعَزِيمَةُ



الأَخَوَانِ رايت

تَتَحَدَّثُ هَذِهِ القِصَّةُ عَنْ شَابَّيْنِ يَتَمَتَّعَانِ بِصَبْرٍ عَجِيْبٍ، سَاعَدَهُمَا صَبْرُهُمَا عَلَى العَمَلِ بِجِدٍّ لِتَحْقِيْقِ الأَهْدَافِ الَّتِي عَقَدَا العَزْمَ عَلَى بُلُوغِهَا.

لا مُسْتَحِيْلَ مَعَ الإِرَادَةِ

تَرَى هَذِهِ المَقَالَةُ أَنَّ العَزِيْمَةَ تَجْعَلُ كُلَّ شَيْءٍ مُمْكِناً.

توماس ألفا أديسون

تَحْكِي هَذِهِ القِصَّةُ حِكَايَةَ المُخْتَرِعِ الكَبِيْرِ الَّذِي كَانَ يَرَى أَنَّ العَبْقَرِيَّةَ تُسَاوِي ٩٩٪ مِنَ الجُهْدِ، وَالعَرَقِ المُتَمَثِّلِ بِالعَمَلِ الدَّؤُوْبِ، وَالعَزِيمَةِ، وَالمثَابَرَةِ.

هيلين كيللر

تَتَحَدَّثُ هَذِهِ القِصَّةُ عَنْ فَتَاةٍ عَمْيَاءَ صَمَّاءَ، سَاعَدَتْهَا عَزِيْمَتُهَا فِي التَّغَلُّبِ عَلَى إِعَاقَتِهَا، وَمَكَّنَهَا طُمُوْحُهَا مِنْ بُلُوْغِ مَرَاكِزَ لَمْ يَسْبِقْهَا إِلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ قَبْلُ.

الوَرَقَةُ الأَخِيْرَةُ

تَحْكِي هَذِهِ القِصَّةُ حِكَايَةَ فَتَاةٍ أَدْرَكَتْ أَخِيْراً أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ عَلَى صَوَابٍ فِي قَرَارِهَا وَإِرَادَتِهَا الَّتِي كَانَتْ تَدْفَعُهَا نَحْوَ المَوْتِ.

تُوماس ألفا أديسون

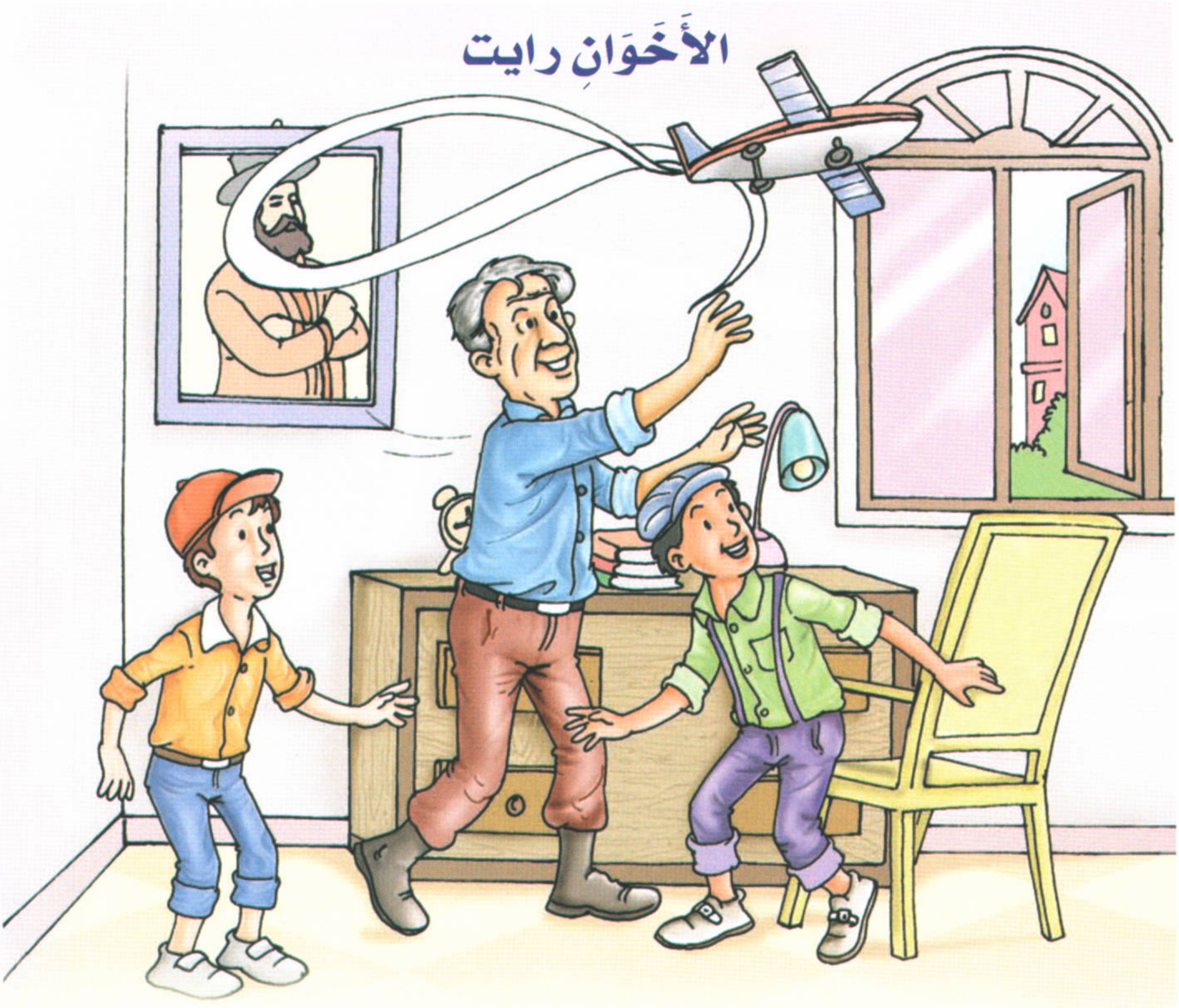


إِذَا كُتِبَ لَكَ أَنْ تَزُوْرَ قَاعَةَ الشَّرَفِ فِي جَامِعَةِ (نيويورك)؛ فَسَتَكْتَشِفُ وُجُوْدَ مَكَانٍ مُحَدَّدٍ خُصِّصَ لِلْعَالِمِ (توماس ألفا أديسون).

نَشَأَ (أديسون) فِي أُسْرَةٍ تَقْلِيْدِيَّةٍ كَغَيْرِهَا مِنَ الأُسَرِ، لَكِنْ كَيْفَ تَمَكَّنَ طِفْلٌ يَنْتَمِي إِلَى عَائِلَةٍ تَقْلِيْدِيَّةٍ مِنْ أَنْ يُصْبِحَ أَبْرَزَ مُخْتَرِعٍ عَلَى مُسْتَوَى العَالَمِ؟

كَانَ (أديسون) يَطْمَحُ دَوْماً لِبُلُوْغِ السَّمَاءِ، وَلَمْ يَكُنْ يُهِمُّهُ مَا إِذَا كَانَ سَيُصْبِحُ شَخْصاً نَاجِحاً أَوْ لَا؛ لِأَنَّ جُلَّ اهْتِمَامَاتِهِ كَانَتْ تَنْصَبُّ عَلَى مُحَاوَلَاتِهِ المُتَكَرِّرَةِ وَالدَّؤُوْبِ، وَهَذَا مَا لَخَّصَهُ (أديسون) بِقَوْلِهِ: "تَتَأَلَّفُ العَبْقَرِيَّةُ مِنْ وَاحِدٍ بِالمائَةِ مِنَ الطُّمُوْحِ، وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِيْنَ بِالمائَةِ مِنَ الجُهْدِ وَالعَرَقِ"؛ لِأَنَّ العَمَلَ الدَّؤُوْبَ هُوَ مَا جَعَلَ (أديسون) مُخْتَرِعاً عَبْقَرِيّاً.

الأَخَوانِ رايت



في مَنْزِلٍ صَغيرٍ مُؤلَّفٍ مِنْ طابقَيْنِ مَطْلِيَّيْنِ باللَّوْنِ الأَبْيَضِ عاشَ (الأَخَوانِ رايت)، وَذَلِكَ في شارِعِ (هاوثورن)، بمَدِيْنَةِ (دايتون)، في وِلَايَةِ (أوهايو) الأَمْرِيكيَّةِ.

كَانَ مِنْ عَادَةِ هَذَيْنِ الأَخَوَيْنِ أَنْ يَنْتَظِرَا -بِفارِغِ الصَّبْرِ- عَوْدَةَ وَالِدِهِمَا مِنْ رِحْلاتِهِ الَّتي تَفرِضُهَا عَلَيْهِ طَبِيْعَةُ عَمَلِهِ، وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِ هُوَ أَيْضاً أَنْ يَجْلِبَ لَهُمَا هَدِيَّةً في كُلِّ مَرَّةٍ يُسَافِرُ فيْهَا، بَيْدَ أَنَّهُمَا جَلَسَا هَذِهِ المَرَّةَ يَتَخيَّلانِ الهَدِيَّةَ الَّتي سَيَجْلِبُهَا الأَبُ لَهُمَا، ما شَكْلُهَا؟ وَمَا نَوْعُهَا؟

وَلَمْ يَطُلْ بِهِمَا الوَقْتُ كَثِيْراً وَهُمَا عَلَى تِلْكَ الحَالَةِ، فَسَرْعَانَ مَا دَخَلَ وَالِدُهُمَا المَطْرَانُ (ميلتون رايت) إِلَى غُرْفَتِهِمَا حامِلاً الهَدِيَّةَ، عِنْدَهَا صَاحَ وَلَدَاهُ (ويلبر وأورفيل) -وَهُمَا يُحَاوِلَانِ اسْتِرَاقَ النَّظَرِ إِلَى مَا يُخَبِّئُهُ لَهُمَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ- "لَقَدِ افْتَقَدْنَاكَ يَا أَبَتِ، لَكِنْ مَاذَا تَحْمِلُ لَنَا في جُعْبَتِكَ؟ دَعْنَا نَرَ!".

رَدَّ الأَبُ: "لَمْ أَحمِلْ لَكُمَا مَا يَبْهَرُكُمَا، لِذَا سَأَرْمِي مَا حَمَلْتُ بَعِيْداً"، قَالَ ذَلِكَ وَهُوَ يَقْذِفُ بِالهَدِيَّةِ في الهَوَاءِ لِيَرَاهَا الوَلَدَانِ. وَسَرْعَانَ مَا قَفَزَ الطِّفْلَانِ بَهْجَةً وَحُبُوْراً، وَهَتَفَا بِصَوْتٍ وَاحِدٍ تَمْلَؤُهُ البَهْجَةُ: "إِنَّهَا لُعْبَةُ الطَّائِرَةِ الشِّرَاعِيَّةِ .. إِنَّهَا تَطِيْرُ أَيْضاً؟!!".

كَانَتْ حَرَكَةُ الطَّائِرَةِ الشِّرَاعِيَّةِ في غُرْفَةِ الجُلُوْسِ في بَيْتِ الوَلَدَيْنِ أَمْراً في غَايَةِ الأَهَمِّيَّةِ لَهُمَا؛ لِأَنَّهَا تَرَكَتْ فِيْهِمَا

أثراً لا يُمحى لازمهما سنواتٍ طويلةً؛ وذلكَ لأنَّهُما عندما شاهدا الطَّائرةَ وهي تطيرُ في الغُرفةِ راحَ كُلُّ منهُما يحْلُمُ بتصميمِ طائرةٍ يُحلِّقُ بها.

وهكذا تحوّلتِ التّجاربُ إلى عادةٍ يوْميّةٍ لأُسْرةِ (رايت)، إذْ لمْ يجدِ الفتيانِ مكاناً أفْضلَ منْ مزْرعةِ الجدِّ للْقيامِ بتلْكَ التّجاربِ، لاسيّما إذا علمْنا أنّهُما اسْتمدّا عِشْقهُما للْآلاتِ منْ جدِّهِما، كما كانتْ أُمُّهُما بارِعةً في اسْتخْدامِ الأدواتِ أيْضاً.

وفي بعْضِ أعْيادِ الميْلادِ أهْدى (ويلبر) أخاهُ مجْموعةً تشْتملُ على أدواتٍ للنّحْتِ، أصْبحتْ منْ بعْدِها عمليّةُ النّحْتِ الشُّغْلَ الشّاغِلَ لِـ (أورفيل) الّذي بدأ يُمارِسُ هِوايةَ الحفْرِ على الخشبِ، وأصْبحَ لديْهِ منْحوتاتٌ خشبيّةٌ، جعلَ يسْتخْدِمُها في عمليّةِ الطِّباعةِ.

ولمْ يكنِ اهْتمامُ (ويلبر) بالطِّباعةِ بأقلَّ منِ اهْتمامِ (أورفيل)، فدفعهُما ذلكَ إلى إصْدارِ جريْدةٍ أُسْبوعيّةٍ فيما بعْدُ عُرِفتْ باسْمِ: (أخْبارُ الجانبِ الغرْبيِّ)، إذْ كانتِ القِراءةُ والكِتابةُ منْ صُلْبِ اهْتماماتِهِما، وبدأا بتعلُّمِ الكثيرِ منَ الأُمورِ حوْلَ الآلاتِ، وذلكَ منْ عملِهِما بطِباعةِ الصُّحُفِ، حيْثُ كانا يُصْلِحانِ آلةَ الطِّباعةِ إذا طرأَ عليْها أيُّ عُطْلٍ، وأحْياناً كانتْ تسْتغْرِقُ عمليّةُ الإصْلاحِ وقْتاً طويْلاً، ومرّةً بذلا كُلَّ ما بِوُسْعِهِما، إلّا أنَّ مُحاولاتِهِما كُلَّها باءتْ بالفشلِ.

عِنْدها هتفَ (أورفيل): "لقدِ اسْتسْلمْتُ".

فأجابَ (ويلبر): "منَ الصّعْبِ إصْلاحُها".

وهُنا أتى صوْتُ الأبِ بنبْرةٍ تشْجيعيّةٍ: "إنَّ عمليّةَ إصْلاحِ الآلةِ أمْرٌ صعْبٌ لا شكَّ في ذلكَ، ولكنْ لديْكُما منَ الصّبْرِ ما يُساعِدُكُما على مُواصلةِ الرِّحْلةِ، وفي النِّهايةِ لابُدَّ أنْ تتوصّلا إلى حلٍّ كما عهِدْتُكُما دائماً".



فَمَا الصَّبْرُ إِلَّا الابْتِعَادُ عَنِ الغَضَبِ وَالاسْتِسْلَامِ حِيْنَمَا يَعْجِزُ المرْءُ عَنِ القِيَامِ بِشَيْءٍ مَا بَعْدَ مُحَاوَلَاتٍ طَوِيْلَةٍ، أَيْ إِنَّ الصَّبْرَ يُمَثِّلُهُ العَزْمُ عَلَى مُوَاصَلَةِ الانْتِظَارِ، وَالمضِيُّ قُدُماً فِي الطَّرِيْقِ ذَاتِهِ.



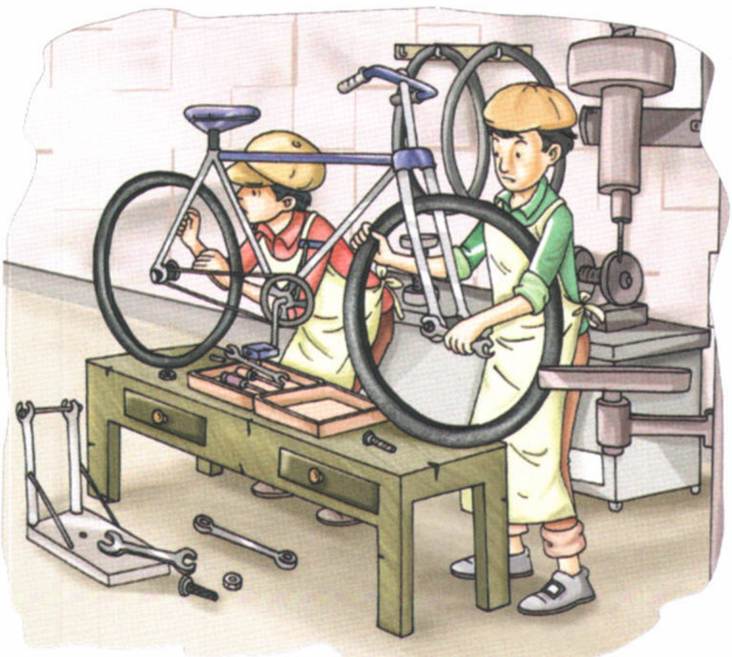
إِلَّا أَنَّ الأَخَوَيْنِ (رايت) كَانَتْ لَهُمَا اهْتِمَامَاتٌ أُخْرَى كَثِيْرَةٌ، حَيْثُ وَجَّهَا اهْتِمَامَهُمَا إِلَى عَالَمِ الدَّرَّاجَاتِ بَعْضَ الوَقْتِ، وَكَانَ طِرَازُ الدَّرَّاجَاتِ السَّائِدُ وَقْتَئِذٍ هُوَ طِرَازُ الدَّرَّاجَاتِ الَّتِي تَشْتَمِلُ عَلَى عَجَلَةٍ أَمَامِيَّةٍ كَبِيْرَةٍ، وَعَجَلَةٍ خَلْفِيَّةٍ صَغِيْرَةٍ، وَلَكِنْ حِيْنَمَا بَلَغَ (أورفيل) العِشْرِيْنَ مِنْ عُمْرِهِ ظَهَرَ نَوْعٌ جَدِيْدٌ مِنَ الدَّرَّاجَاتِ الهَوَائِيَّةِ الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَى عَجَلَتَيْنِ ذَوَاتَيْ حَجْمٍ وَاحِدٍ، فَكَانَ مِمَّا سَاعَدَ الأَخَوَيْنِ (رايت) عَلَى الاطِّلَاعِ عَلَى عَالَمِ الآلَاتِ أَكْثَرَ عَمَلُهُمَا بِبَيْعِ الدَّرَّاجَاتِ الهَوَائِيَّةِ، إِضَافَةً إِلَى إِصْلَاحِهَا وَتَأْجِيْرِهَا.

هَلْ سَبَقَ لَكَ –عَزِيْزِي القَارِئَ– أَنْ سَمِعْتَ بِالبَيْتِ القَائِلِ:

إِنَّ الشَّبَابَ وَالفَرَاغَ وَالجِدَهْ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَهْ

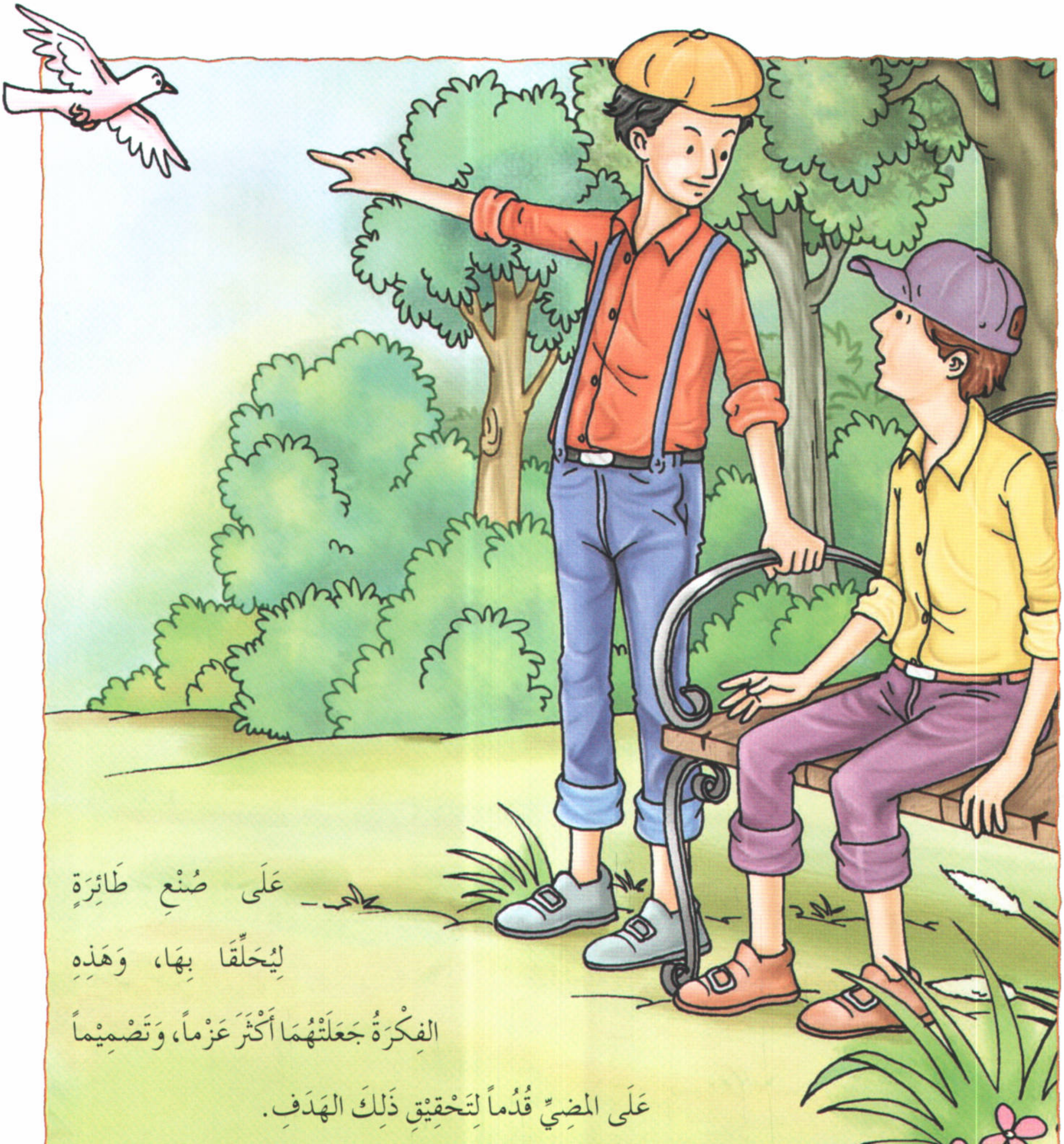
الَّذِي يُقْصَدُ بِهِ: أَنَّ الرُّكُونَ إِلَى الكَسَلِ يَدْفَعُ المرْءَ إِلَى المهَالِكِ.

هَذَا البَيْتُ لَا يَنْطَبِقُ عَلَى (ويلبر وأورفيل) أَبَداً؛ لِأَنَّهُمَا لَمْ يَرْكَنَا إِلَى الكَسَلِ مُطْلَقاً، فَثَمَّةَ أُمُورٌ كَثِيْرَةٌ كَانَتْ تَشْغَلُ بَالَهُمَا؛ وَلِأَنَّهُمَا أَيْضاً عَقَدَا العَزْمَ عَلَى تَحْقِيْقِ أَحْلَامِهِمَا المتَمَثِّلَةِ بِتَصْمِيْمِ طَائِرَةٍ وَالتَّحْلِيْقِ بِهَا.



وَمُنْذُ أَنْ قَرَأَ هَذَانِ الأَخَوَانِ عَنْ تَجْرِبَةِ (أوتو ليلينثال) فِي (ألمانيا)، الَّذِي صَمَّمَ طَائِرَةً شِرَاعِيَّةً عَامَ ١٨٨٩، عَاوَدَهُمَا ذَلِكَ الاهْتِمَامُ بِالطَّيَرَانِ وَالطَّائِرَاتِ، حَيْثُ أَصْبَحَ ذَلِكَ هَاجِساً لَهُمَا يَنْتَابُهُمَا طِيْلَةَ الوَقْتِ.

وَلَكِنْ، فِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ تَحَطَّمَتْ طَائِرَةُ (أوتو ليلينثال)، وَتُوُفِّيَ عَلَى إِثْرِ تِلْكَ الحَادِثَةِ، بَيْدَ أَنَّ وَفَاتَهُ جَعَلَتْ (الأَخَوَيْنِ رايت) يُصَمِّمَانِ



عَلَى صُنْعِ طَائِرَةٍ
لِيُحَلِّقَا بِهَا، وَهَذِهِ
الفِكْرَةُ جَعَلَتْهُمَا أَكْثَرَ عَزْماً، وَتَصْمِيْماً
عَلَى المضِيِّ قُدُماً لِتَحْقِيْقِ ذَلِكَ الهَدَفِ.

وَلَكِنْ كَانَ لَابُدَّ لَهُمَا مِنَ العَمَلِ بِجِدٍّ لِيَتَحَوَّلَ حُلْمُهُمَا إِلَى حَقِيْقَةٍ وَاقِعَةٍ، لِذَا بَدَأَا بِأَبْحَاثٍ كَثِيْرَةٍ سَاعَدَتْهُمَا عَلَى اِكْتِشَافِ الكَثِيْرِ مِنَ الحَقَائِقِ، إِذْ قَرَّرَا أَنْ يَكْتَشِفَا مَا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ الآخَرُوْنَ مِنْ مَعْلُوْمَاتٍ فِي هَذَا المجَالِ، كَمَا أَخَذَا يُرَاقِبَانِ حَرَكَةَ الطُّيُوْرِ مُدَّةً طَوِيْلَةً، فَتَوَصَّلَا إِلَى حَقِيْقَةٍ مَفَادُهَا أَنَّ الطُّيُوْرَ بِإِمْكَانِهَا أَنْ تُحَلِّقَ صُعُوْداً وَهُبُوْطاً، كَمَا يُمْكِنُهَا أَنْ تَمِيْلَ عَلَى أَحَدِ جَانِبَيْهَا أَثْنَاءَ الطَّيَرَانِ.



وَمَرَّةً، وَبَيْنَمَا كَانَا يُرَاقِبَانِ سِرْبَ حَمَامٍ أَثْنَاءَ تَحْلِيْقِهِ، هَتَفَ كِلَاهُمَا بِصَوْتٍ وَاحِدٍ: "وَجَدْتُهَا! إِنَّ ضَغْطَ الهَوَاءِ هُوَ الَّذِي يُسَاعِدُ الطَّيْرَ عَلَى التَّحْلِيْقِ صُعُوْداً وَهُبُوْطاً".

وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الفِكْرَةُ مَحْضَ مُصَادَفَةٍ؛ لِأَنَّ هَذَيْنِ الأَخَوَيْنِ قَدْ تَمَكَّنَا عَلَى مَدَارِ سَنَوَاتٍ مِنْ تَطْوِيْرِ مَهَارَتِهِمَا فِي العَمَلِ بِالأَخْشَابِ وَالمَعَادِنِ وَالآلَاتِ وَالأَدَوَاتِ، إِضَافَةً إِلَى مَقْدِرَتِهِمَا المِيْكَانِيْكِيَّةِ، وَالذَّكَاءِ الَّذِي كَانَا يَتَّصِفَانِ بِهِ، وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِمَا تَصْنِيْعُ الأَدَوَاتِ اللَّازِمَةِ لِأَيِّ اخْتِرَاعٍ يَرْغَبَانِ فِي إِنْجَازِهِ.

وَفِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ قَرَّرَ (ويلبر وأورفيل) بِنَاءَ طَائِرَتِهِمَا الشِّرَاعِيَّةِ الخَاصَّةِ، فَبَدَأَا العَمَلَ بِجِدٍّ عَلَى ذَلِكَ المَشْرُوْعِ، وَسَاعَدَهُمَا تَصْمِيْمُهُمَا، وَالعَزِيْمَةُ الَّتِي تَحَلَّيَا بِهَا، عَلَى إِتْمَامِ ذَلِكَ المَشْرُوْعِ بِسُرْعَةٍ مُذْهِلَةٍ.

وَلِأَنَّ مِنْطَقَةَ (كيتي هوك) الوَاقِعَةَ شَمَالَ وِلَايَةِ (كارولينا) تَتَمَيَّزُ بِمَسَاحَاتِهَا الوَاسِعَةِ الَّتِي تَضُمُّ كُثْبَاناً رَمْلِيَّةً فَقَطْ، فَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ المِنْطَقَةُ المَكَانَ المُنَاسِبَ لِاخْتِبَارِ تِلْكَ الطَّائِرَةِ الشِّرَاعِيَّةِ؛ لِذَا سَحَبَ الأَخَوَانِ تِلْكَ الطَّائِرَةَ إِلَى قِمَّةِ هَضْبَةٍ مِنَ الهِضَابِ المَوْجُوْدَةِ هُنَاكَ، ثُمَّ دَفَعَ (أورفيل) الطَّائِرَةَ بَعْدَمَا اعْتَلَاهَا (ويلبر)، وَلَكَمْ كَانَتْ سَعَادَتُهُمَا غَامِرَةً حِيْنَ أَقْلَعَتِ الطَّائِرَةُ، وَتَأَكَّدَ كُلٌّ مِنْهُمَا مِنْ أَنَّ التَّصْمِيْمَ وَالعَزِيْمَةَ اللَّذَيْنِ تَحَلَّيَا بِهِمَا قَدْ أَوْصَلَاهُمَا إِلَى تِلْكَ اللَّحْظَةِ.

بَيْدَ أَنَّ تَجْرِبَتَهُمَا الأُوْلَى انْتَهَتْ بِتَحَطُّمِ الطَّائِرَةِ الشِّرَاعِيَّةِ، وَتَحَوَّلَتْ إِلَى كَوْمَةٍ مِنَ الحَدِيْدِ وَالقُمَاشِ، وَلِحُسْنِ الحَظِّ أَنَّ (ويلبر) لَمْ يُصَبْ بِأَيِّ أَذَى.

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ قَدِمَ (أورفيل) وَالحَيْرَةُ وَالخَيْبَةُ تَعْلُوْ مُحَيَّاهُ، وَهُوَ يَقُوْلُ: "مَازِلْتُ أَجْهَلُ سَبَبَ عَدَمِ إِكْمَالِهَا رِحْلَتَهَا الأُوْلَى".

وَهُنَا صَاحَ بِهِ (ويلبر) الَّذِي كَانَ يُقَاوِمُ إِحْسَاسَهُ بِالعَجْزِ وَالقُنُوْطِ: "كُنْ صَبُوْراً يَا أَخِي، وَتَذَكَّرْ مَا قَالَهُ لَنَا أَبِي يَوْماً عَنِ العَزِيْمَةِ، أَنَا أَظُنُّ أَنَّهُ لَابُدَّ مِنْ زِيَادَةِ ضَغْطِ الهَوَاءِ الَّذِي يَمُرُّ تَحْتَ جَنَاحَي الطَّائِرَةِ،

وَبِتِلْكَ الطَّرِيْقَةِ لَابُدَّ لَهَا مِنْ أَنْ تُقْلِعَ، وَأَنْ تَبْقَى فِي الجَوِّ وَقْتاً أَطْوَلَ، وَيُمْكِنُ لِأَيِّ مُحَرِّكٍ أَنْ يَقُوْمَ بِتِلْكَ المَهِمَّةِ؛ لِأَنَّهُ سَيَضُخُّ المَزِيْدَ مِنَ الهَوَاءِ تَحْتَ الأَجْنِحَةِ".

شَرَعَ (الأَخَوَانِ رايت) بَعْدَ تِلْكَ التَّجْرِبَةِ بِدِرَاسَةِ الطَّائِرَةِ الشِّرَاعِيَّةِ الَّتِي صَمَّمَاهَا، ثُمَّ أَعَدَّا رُسُوْمَاتٍ عَلَى الوَرَقِ، إِضَافَةً إِلَى إِجْرَاءِ حِسَابَاتٍ دَقِيْقَةٍ، وَكَانَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَوَصَّلَا إِلَى قَرَارٍ بِشَأْنِ المُحَرِّكِ الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يُمَثِّلَ ثِقْلاً إِضَافِيّاً وَيَمْنَعَ الطَّائِرَةَ مِنَ التَّحْلِيْقِ.

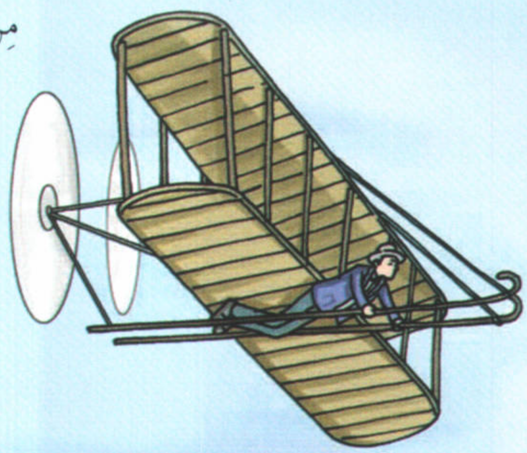
وَلَا شَكَّ أَنَّ الاخْتِرَاعَاتِ الجَدِيْدَةَ تَحْتَاجُ إِلَى الكَثِيْرِ مِنَ المُثَابَرَةِ وَالعَمَلِ الدَّؤُوْبِ؛ لِأَنَّهَا لَا تَأْتِي مُصَادَفَةً أَثْنَاءَ التَّجَارِبِ الأُوْلَى، وَهَكَذَا فَإِنَّ المُحَرِّكَ الَّذِي صَمَّمَهُ (الأَخَوَانِ رايت) لَمْ يَعْمَلْ فِي بِدَايَةِ الأَمْرِ.

إِلَّا أَنَّ (ويلبر) كَانَ يُشَجِّعُ أَخَاهُ وَيَقُوْلُ لَهُ: "لَابُدَّ أَنْ يَعْمَلَ يَا (أورفيل)، سَنَجْعَلُهُ يَعْمَلُ".

وَقَدْ نَجَحَا فِي ذَلِكَ أَيْضاً، فَبَعْدَ عِدَّةِ مُحَاوَلَاتٍ بَدَأَ المُحَرِّكُ يُصْدِرُ أَصْوَاتاً غَرِيْبَةً.. وَفَجْأَةً أَخَذَ يُصْدِرُ هَدِيْراً اعْتِيَادِيّاً، وَبَدَأَتْ مِرْوَحَةُ الطَّائِرَةِ تَدُوْرُ. فَصَاحَ الأَخَوَانِ فَرَحاً: "نَجَحْنَا أَخِيْراً!".

غَيْرَ أَنَّ الطَّائِرَةَ لَمْ تَكُنْ جَاهِزَةً لِلطَّيَرَانِ بَعْدُ، مَعَ أَنَّ مُحَرِّكَهَا كَانَ عَلَى أُهْبَةِ الاسْتِعْدَادِ؛ لِأَنَّ الأَخَوَيْنِ اكْتَشَفَا أَنَّ المُحَرِّكَ ثَقِيْلٌ جِدّاً عَلَى الطَّائِرَةِ، وَذَلِكَ بَعْدَ تَرْكِيْبِهِ عَلَيْهَا، وَهُنَا بَدَأَتْ مَرْحَلَةُ التَّغْيِيْرَاتِ الَّتِي طَرَأَتْ عَلَى الخُطَطِ، وَالطَّائِرَةِ، وَالمُحَرِّكِ، إِذْ إِنَّهُ لَابُدَّ لِلْمَرْءِ أَنْ يَكُوْنَ مُسْتَعِدّاً لِأَيِّ تَغْيِيْرَاتٍ بِهَدَفِ تَحْقِيْقِ تَحَسُّنٍ مَلْحُوْظٍ، عَلَى أَنْ يَحْدُوَ ذَلِكَ عَزِيْمَةٌ، وَتَصْمِيْمٌ كَبِيْرٌ، وَهَذَا مَا كَانَ يُمَيِّزُ (ويلبر) و(أورفيل).

وَأَخِيْراً تَحَقَّقَ الحُلُمُ فِي السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ كَانُوْنَ الأَوَّلِ مِنَ العَامِ ١٩٠٣، وَذَلِكَ فِي مِنْطَقَةِ (كيتي هوك)، حَيْثُ حَلَّقَتْ طَائِرَتُهُمَا -الَّتِي تُعَدُّ أَوَّلَ طَائِرَةٍ فِي التَّارِيْخِ- مُبْتَعِدَةً عَنْ سَطْحِ الأَرْضِ، وَلَقَدْ كَانَ شُعُوْرُ كُلٍّ مِنْهُمَا لَا يُوْصَفُ وَهُمَا يُشَاهِدَانِ مَآلَ الجُهْدِ الَّذِي بَذَلَاهُ فِي سَبِيْلِ تَحْقِيْقِ تِلْكَ الغَايَةِ، وَيَالَهُ مِنْ إِحْسَاسٍ رَائِعٍ أَنْ يُحَلِّقَ المَرْءُ فَوْقَ الأَرْضِ، وَأَرْوَعُ مِنْهُ أَنْ يَتَمَكَّنَ الإِنْسَانُ مِنِ اخْتِرَاعِ تِلْكَ الآلَةِ المُدْهِشَةِ.

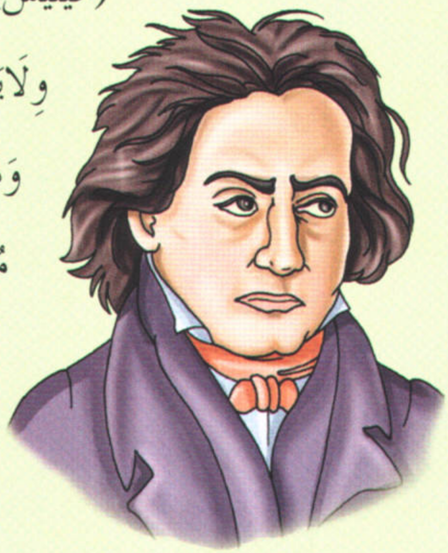


وَقَدْ هَتَفَتِ الجُمُوْعُ الَّتِي احْتَشَدَتْ لِرُؤْيَةِ عَمَلِيَّةِ إِقْلَاعِ أَوَّلِ طَائِرَةٍ فِي العَالَمِ، وَبِذَلِكَ حَقَّقَ (الأَخَوَانِ رايت)، اللَّذَانِ كَانَ يُطْلَقُ عَلَيْهِمَا: "مُرَاقِبَا الطُّيُوْرِ"، إِنْجَازاً عَظِيْماً فِي المَجَالِ العِلْمِيِّ عَلَى مُسْتَوَى العَالَمِ أَجْمَعَ.



لا مُستَحِيلَ مَعَ الإِرادَةِ

هَلْ يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَقِفَ مُتَوازِناً عَلَى قَدَمٍ واحِدَةٍ مُدَّةَ أَرْبَعٍ وَثَلاثِيْنَ ساعَةً؟ مُسْتَحِيْلٌ! إِلَّا أَنَّ كِتابَ (غينيس) لِلأَرْقامِ القِياسِيَّةِ يُخْبِرُنا بِأَنَّ شَخْصاً يُدْعَى: (ن. رافي) مِنْ وِلايَةِ (تاميل نادو) في الهِنْدِ قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ في عامِ ١٩٨٢.



وَهَلْ يُمْكِنُ لِأَكْثَرَ مِنْ ثَلاثَةِ أَشْخاصٍ أَنْ يَرْكَبُوْا دَرَّاجَةً واحِدَةً؟ مُسْتَحِيْلٌ! بَيْدَ أَنَّ سِتَّةَ عَشَرَ سائِقَ دَرَّاجَةٍ يابانِيّاً فَعَلُوْا ذَلِكَ عامَ ١٩٨٤.

لَقَدْ قَرَأْتُ عَنْ هَؤُلاءِ الأَشْخاصِ، وَما صَنَعُوْهُ مِنْ مَآثِرَ بَدَتْ مُسْتَحِيْلَةً، فَدُهِشْتُ لِذَلِكَ، وَحِيْنَما أُفَكِّرُ فِيْهِمْ أَتَساءَلُ: لِمَ مازالَتِ القَوامِيْسُ تَحْتَوي كَلِمَةَ (مُسْتَحِيْلٌ)؟

وَبِمُراجَعَةِ صَفَحاتِ التَّارِيْخِ سَتَجِدُ الكَثِيْرَ مِنَ القَصَصِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنِ الأَشْخاصِ الَّذِيْنَ جَعَلُوا مِنَ المُسْتَحِيْلِ مُمْكِناً مَعَ الإِرادَةِ وَالتَّصْمِيْمِ.

يُعَدُّ (بيتهوفن) أَعْظَمَ مُوْسِيْقِيٍّ عَرَفَتْهُ البَشَرِيَّةُ، رَغْمَ أَنَّهُ كانَ أَصَمَّ! فَقَدْ تَحَدَّى إِعاقَتَهُ، وَتَمَكَّنَ مِنْ كِتابَةِ أَرْوَعِ المَقْطُوْعاتِ المُوْسِيْقِيَّةِ، وَكانَ يَقُوْدُ فِرْقَةَ (الأوركسترا).

وَلابُدَّ أَنْ تَكُوْنَ –عَزِيْزي القارِئَ– قَدْ سَمِعْتَ عَنْ (هيلين كيللر)، الَّتِي كانَتْ عَمْياءَ وَصَمَّاءَ وَبَكْماءَ مُنْذُ أَنْ كانَتْ طِفْلَةً صَغِيْرَةً، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَمْنَعْها مِنْ تَحْقِيْقِ ما كانَتْ تَصْبُوْ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ بِفَضْلِ عَزِيْمَتِها وَتَصْمِيْمِها اللَّذَيْنِ ساعَداها عَلَى أَنْ تُصْبِحَ كاتِبَةً مَعْرُوْفَةً، رَغْمَ أَنَّ سِنَّها وَقْتَئِذٍ لَمْ يَكُنْ قَدْ تَجاوَزَ العِشْرِيْنَ، كَما تَمَكَّنَتْ مِنَ الحُصُوْلِ عَلَى دَرَجَةٍ عِلْمِيَّةٍ رَفِيْعَةٍ حِيْنَما بَلَغَتِ الرَّابِعَةَ وَالعِشْرِيْنَ مِنَ العُمْرِ.



وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ ثَمَّةَ أَشْخَاصاً يَظْهَرُوْنَ لِيُثْبِتُوْا لَنَا أَنَّ المسْتَحِيْلَ، أَوِ الصَّعْبَ مُمْكِنٌ؛ ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مَا يَحْتَاجُهُ المرْءُ هُوَ الإِرَادَةُ وَالتَّصْمِيْمُ، فَالإِرَادَةُ هِيَ لُبُّ الأَمْرِ هُنَا.



هَلْ يُعْقَلُ أَنْ يَتَمَكَّنَ عَجُوْزٌ ضَعِيْفُ البَصَرِ وَالبِنْيَةِ، لَمْ يَكُنْ يَرْتَدِي سِوَى مَلَابِسَ قُطْنِيَّةٍ بَسِيْطَةٍ، مِنْ تَحَدِّي أَعْظَمَ قُوَّةٍ فِي العَالَمِ دُوْنَ أَنْ يُطْلِقَ طَلْقَةً وَاحِدَةً؟

لَابُدَّ أَنَّكَ -عَزِيْزِي القَارِئَ- تَرَى فِي الأَمْرِ شَيْئاً مِنَ الاِسْتِحَالَةِ، لَكِنْ هَذَا مَا فَعَلَهُ (المهاتما غاندي) بِالضَّبْطِ.

إِذاً فَالنَّجَاحُ فِي أَيِّ مَجَالٍ يَعْتَمِدُ عَلَى إِرَادَتِنَا، وَعَزِيْمَتِنَا الَّتِي تَدْفَعُنَا إِلَى التَّغَلُّبِ عَلَى المصَاعِبِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تُوَاجِهَنَا، لَكِنْ لَابُدَّ مِنْ مُرَاعَاةِ أُمُوْرٍ ثَلَاثَةٍ، وَهِيَ:

أَوَّلاً: لَابُدَّ أَنْ نُكَوِّنَ فِكْرَةً وَاضِحَةً عَمَّا نَرْغَبُ فِي تَحْقِيْقِهِ.

ثَانِياً: يَجِبُ أَنْ نُؤْمِنَ بِقُدْرَتِنَا عَلَى تَحْقِيْقِ ذَلِكَ الهَدَفِ.

ثَالِثاً: يَجِبُ أَنْ نَبْدَأَ العَمَلَ عَلَى تَحْقِيْقِ الهَدَفِ الَّذِي نَصْبُوْ إِلَيْهِ مُنْذُ اللَّحْظَةِ، فَمَعَ الإِرَادَةِ وَالنِّيَّةِ وَالعَزْمِ لَيْسَ هُنَاكَ مَا يُسَمَّى غَداً، بَلِ اليَوْمَ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مَا يُسَمَّى لَاحِقاً، بَلِ الآنَ، إِذاً فَمَعَ النِّيَّةِ وَالإِرَادَةِ لَابُدَّ لِلْمَرْءِ أَنْ يَبْدَأَ مِنْ هَذِهِ اللَّحْظَةِ مَهْمَا كَانَتِ المهِمَّةُ صَعْبَةً وَشَاقَّةً؛ فَرِحْلَةُ أَلْفِ الميْلِ تَبْدَأُ بِخَطْوَةٍ!

فَعِنْدَمَا يُوَطِّنُ المرْءُ نَفْسَهُ عَلَى البَدْءِ بِمِشْوَارِهِ لِتَحْقِيْقِ أَهْدَافِهِ يُمْكِنُهُ عِنْدَهَا التَّغَلُّبُ عَلَى المصَاعِبِ الَّتِي قَدْ تَبْدُو جَسِيْمَةً وَمُسْتَحِيْلَةً، وَبِوُسْعِهِ أَنْ يَمْضِيَ فِي الطَّرِيْقِ الَّذِي يَعْجِزُ الشُّجْعَانُ عَنْ قَطْعِهِ، فَحِيْنَمَا يَتَحَلَّى المرْءُ بِالإِرَادَةِ وَالتَّصْمِيْمِ يُمْكِنُهُ أَنْ يَحْلُمَ بِتَحْقِيْقِ المسْتَحِيْلِ، كَمَا يُمْكِنُ لِلْيَدِ الَّتِي غَذَّتْهَا الإِرَادَةُ أَنْ تَصِلَ إِلَى النَّجْمِ الَّذِي لَمْ يَتَمَكَّنْ أَحَدٌ مِنْ بُلُوْغِهِ، فَبِالإِرَادَةِ وَحْدَهَا يُصْبِحُ المسْتَحِيْلُ مُمْكِناً.



بدأَ (آل) – كَمَا كَانتْ أسْرَةُ (أديسون) تُسَمِّيهِ– العَمَلَ عِنْدَمَا كَانَ فِي الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ، إِلّاَ أَنَّ مَا كَانَ يُمَيِّزُهُ عَنْ بَقِيَّةِ الأَوْلَادِ هُوَ كَثْرَةُ المهَامِّ الَّتِي كَانَ يُؤَدِّيْهَا أَثْنَاءَ اليَوْمِ.

كَانَ (أديسون) يَعْمَلُ بِهَدَفِ الحُصُوْلِ عَلَى المالِ لِمُسَاعَدَةِ أُسْرَتِهِ؛ لِذَا قَرَّرَ فِي بِدَايَةِ الأَمْرِ أَنْ يَبِيْعَ الصُّحُفَ وَالجرَائِدَ.

وَكَانَتِ الرِّحْلَةُ بِالقِطَارِ مِنْ مَدِيْنَةِ (بورت هورون) إِلَى (ديترويت) تَسْتَغْرِقُ ثَلَاثَ سَاعَاتٍ، كَانَ (آل) يَبِيْعُ فِيْهَا الصُّحُفَ وَالحُلْوِيَّاتِ لِلرُّكَّابِ، حَيْثُ كَانَ يَجُوْلُ فِي القِطَارِ جَيْئَةً وَذَهَاباً وَهُوَ يُنَادِي: "جَرَائِدْ.. صُحُفْ.. حُلْوِيَّاتْ.. صُحُفْ" وَكَانَ يُعْطِي المالَ الَّذِي يَكْسِبُهُ مِنْ عَمَلِهِ لِوَالِدَيْهِ.

وَقَدْ كَانَ العَمَلُ بِبَيْعِ الجرَائِدِ مُرْهِقاً لِلْغَايَةِ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَمْنَعْ (آل) مِنْ مُتَابَعَةِ اهْتِمَامَاتِهِ، وَعَلَى رَأْسِهَا التَّجَارِبُ وَالاخْتِبَارَاتُ الَّتِي كَانَ يَفْعَلُهَا، فَعَلَى مَتْنِ القِطَارِ كَانَ (آل) يَقْضِي السَّاعَةَ الأُوْلَى فِي بَيْعِ الأَوَانِي الَّتِي كَانَ يَصْنَعُهَا، وَمِنْ ثَمَّ يَنْتَقِلُ لِيُمْضِيَ بَقِيَّةَ الوَقْتِ فِي مَقْطُوْرَةِ الأَمْتِعَةِ حَتَّى نِهَايَةِ الرِّحْلَةِ، حَيْثُ كَانَ هُنَاكَ يَخْلِطُ المسَاحِيْقَ وَالسَّوَائِلَ الَّتِي كَانَ يُحْضِرُهَا مَعَهُ دَوْماً؛ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ عَقَدَ العَزْمَ عَلَى أَنْ يُصْبِحَ مُخْتَرِعاً عَظِيْماً يَوْماً مَا.

كَانَ القِطَارُ يَصِلُ إِلَى مَدِيْنَةِ (ديترويت) فِي التَّاسِعَةِ صَبَاحاً، أَي إِنَّهُ كَانَ يُمْكِنُ لِـ(آل) أَنْ يَسْتَمْتِعَ بِبَاقِي النَّهَارِ كُلِّهِ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ أَنَّ الوَقْتَ لَمْ يُخْلَقْ لِنُضَيِّعَهُ سُدىً، لِذَا كَانَ يَذْهَبُ إِلَى المكْتَبَةِ العَامَّةِ فِي المدِيْنَةِ لِيَقْضِيَ وَقْتَهُ طِيْلَةَ النَّهَارِ فِي مُطَالَعَةِ الكُتُبِ الَّتِي كَانَ يَهْوَاهَا.

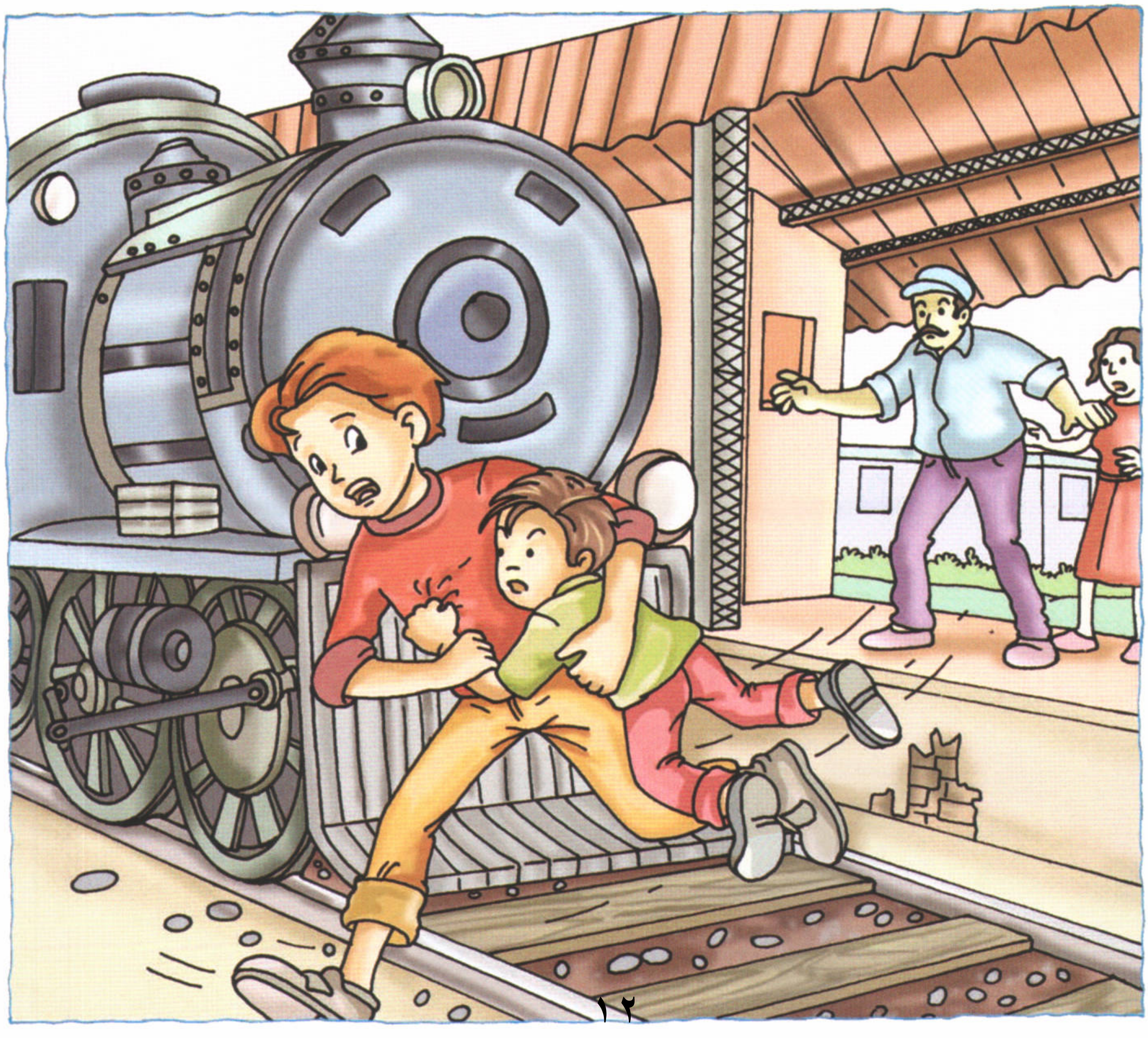
فَقَذَفَ (سَاهِرٌ) بِالمِظَلَّةِ بَعِيْداً وَهُوَ يَكَادُ يَتَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ، وَيُطْلِقُ الشَّتَائِمَ بِحَقِّ كُلِّ رِجَالِ الشُّرْطَةِ.

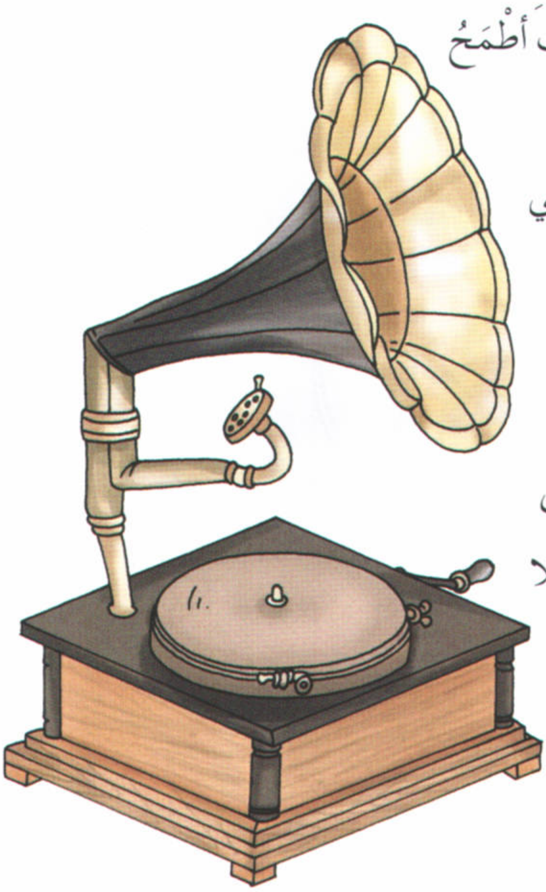
وَقَدْ قَرَأَ في بَعْضِ المرَّاتِ كِتَابَ "عَصْرُ العَقْلِ" لِـ(توماس بين)، الَّذي كَانَ أَحَدَ المخْتَرِعيْنَ المبْدِعيْنَ الَّذيْنَ تأَثَّرَ بِهِمْ (آل) كثيْراً.

بَعْدَ ذَلِكَ كَانَ (آل) يَعُوْدُ إِلَى القِطَارِ فِي السَّاعَةِ السَّادِسَةِ مَسَاءً لِتَبْدَأَ رِحْلَةُ العَوْدَةِ، وَكَانَ مِمَّا لاحَظَهُ (آل) أَثْنَاءَ بَيْعِهِ الجَرَائِدَ أَهَمِّيَّةَ الأَخْبَارِ لِلنَّاسِ، لِذَا اشْتَرَى فِيْمَا بَعْدُ طَابِعَةً مُسْتَعْمَلَةً، وَبَدَأَ بِطِبَاعَةِ صَحِيْفَتِهِ الأُسْبُوْعِيَّةِ الخَاصَّةِ الَّتِي أَطْلَقَ عَلَيْهَا اسْمَ: "ويكلي هيرالد" وَقَدْ حَقَّقَتْ نَجَاحاً مُنْقَطِعَ النَّظِيْرِ.

وَفِي صَبَاحِ يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ، بَيْنَمَا كَانَ (آل) يَنْتَظِرُ قُدُوْمَ القِطَارِ فِي المحَطَّةِ، رَأَى طِفْلاً يَلْهُو فَوْقَ سِكَّةِ الحَدِيْدِ، ثُمَّ شَاهَدَ القِطَارَ وَهُوَ يَأْتِي مُسْرِعاً، فَرَمَى الجَرَائِدَ الَّتِي كَانَتْ فِي يَدِهِ، وَقَفَزَ مِنْ عَلَى الرَّصِيْفِ، ثُمَّ أَمْسَكَ بِالطِّفْلِ، وَأَبْعَدَهُ عَنِ الخَطَرِ الَّذي كَانَ قَرِيْباً مِنْهُ.

ثُمَّ تَبَيَّنَ -مُصَادَفَةً- أَنَّ وَالِدَ الطِّفْلِ مَا هُوَ إِلَّا مُدِيْرُ المحَطَّةِ السَّيِّدُ (جيمس ماكينزي)، الَّذي تَقَدَّمَ مِنْ (آل) وَخَاطَبَهُ قَائِلاً: "كَيْفَ يُمْكِنُنِي أَنْ أُعَبِّرَ عَنْ مَدَى شُكْرِي وَامْتِنَانِي لَكَ يَا بُنَيَّ؟"





فَأَجابَهُ (آل): "لَمْ أَفْعَلْ شَيْئاً يا سَيِّدي، فَهَذا واجِبي، إِلَّا أَنَّني كُنْتُ أَطْمَحُ دَوْماً لِتَعَلُّمِ كَيْفِيَّةِ الإِبْراقِ".

رَدَّ السَّيِّدُ (ماكينزي): "إِذاً سَأَجْعَلُ مِنْكَ أَفْضَلَ عامِلِ إِبْراقٍ في هَذِهِ المَدِيْنَةِ".

هَذا، وَيُقْصَدُ بِالإِبْراقِ تِلْكَ الطَّرِيْقَةُ الَّتي تَعْتَمِدُ عَلَى إِرْسالِ رَسائِلَ عَبْرَ إِشاراتٍ كَهْرَبائِيَّةٍ، وَفي الفَتْرَةِ الَّتي كانَ (آل) يَتَعَلَّمُ فِيْهَا طَرِيْقَةَ الإِبْراقِ عَلَى يَدِ السَّيِّدِ (ماكينزي)، كانَ يَقْرَأُ أَيَّ كِتابٍ يَقَعُ بَيْنَ يَدَيْهِ حَوْلَ الإِبْراقِ، إِلَى دَرَجَةِ أَنَّهُ بَعْدَما عُيِّنَ عامِلاً في هَذا المَجالِ أَصْبَحَ فِكْرُهُ مَشْغُوْلاً بِالاخْتِراعِ كُلِّيّاً، حَيْثُ حَصَلَ عَلَى أَوَّلِ بَراءَةِ اخْتِراعٍ سُجِّلَتْ بِاسْمِهِ عامَ ١٨٦٨، الَّتي تَعْني الاعْتِرافَ بِأَنَّهُ اخْتَرَعَ شَيْئاً ما، وَهَكَذا فَقَدْ حَصَلَ (أديسون) في حَياتِهِ عَلَى ١٠٩٣ بَراءَةَ اخْتِراعٍ سُجِّلَتْ بِاسْمِهِ.

وَمِنَ المُخْتَرَعاتِ الَّتي جَعَلَتْ مِنْهُ شَخْصاً مَشْهُوْراً اخْتِراعُهُ لِجِهازِ الحاكي، الَّذي تَمَكَّنَ بِهِ مِنْ تَسْجِيْلِ الصَّوْتِ البَشَرِيِّ لِإِعادَةِ سَماعِهِ مَرّاتٍ عَدِيْدَةً، وَلِهَذا أَطْلَقَتْ عَلَيْهِ الصُّحُفُ لَقَبَ: "ساحِرُ مِنْطَقَةِ (مينلو بارك)".

وَلِأَنَّ النَّجاحَ يَتَمَيَّزُ بِنَكْهَةٍ لَذِيْذَةٍ؛ فَقَدْ واصَلَ (أديسون) اخْتِراعاتِهِ؛ لِأَنَّهُ صَمَّمَ مُنْذُ البِدايَةِ عَلَى المُضِيِّ في هَذا الدَّرْبِ الَّذي يَحْدُوْهُ العَمَلُ الدَّؤُوْبُ الَّذي اعْتادَهُ (أديسون)، وَالَّذي جَعَلَ مِنْهُ مُخْتَرِعاً عَظِيْماً.

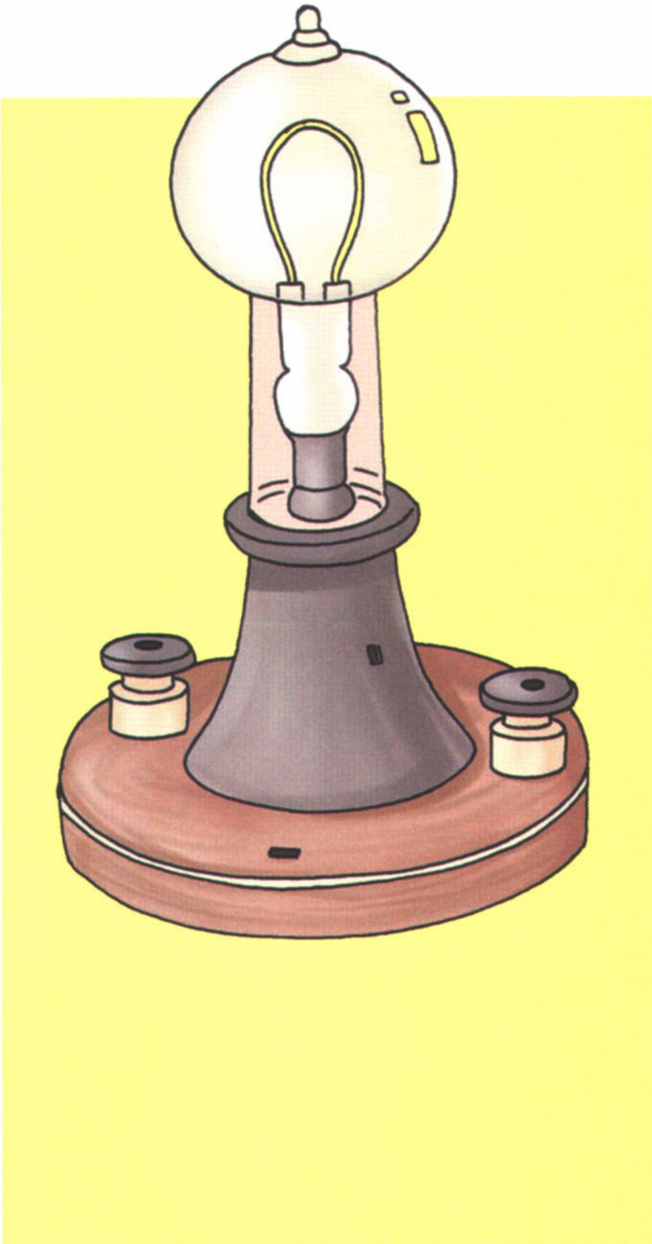
كانَ (أديسون) يُحِبُّ العَمَلَ في مُخْتَبَرِهِ، غَيْرَ أَنَّ الخُطَّةَ الأَخِيْرَةَ الَّتي أَخَذَ يَعْمَلُ عَلَيْها كانَتْ تَقُوْمُ عَلَى رَفْدِ العالَمِ بِشَكْلٍ جَدِيْدٍ مِنَ الإِضاءَةِ، فَقَدْ كانَ يَسْعَى إِلَى تَحْوِيْلِ الكَهْرَباءِ إِلَى ضَوْءٍ.

إِذا أَمْعَنْتَ النَّظَرَ -عَزِيْزي القارِئَ- في المِصْباحِ الكَهْرَبائِيِّ؛ سَتَجِدُ أَنَّهُ يَحْتَوي سِلْكاً رَفِيْعاً جِدّاً يَصِلُ بَيْنَ قَضِيْبَيْنِ رَقِيْقَيْنِ، وَذَلِكَ السِّلْكُ هُوَ الَّذي يَجْعَلُ المِصْباحَ يَتَوَهَّجُ، فَإِذا كُسِرَ السِّلْكُ تَعَطَّلَ المِصْباحُ الكَهْرَبائِيُّ.

وَقَدْ كانَ عَلَى (أديسون) أَنْ يَقُوْمَ بِأَلْفِ تَجْرِبَةٍ، اسْتَعْمَلَ فِيْها مَوادَّ مُخْتَلِفَةً لِلتَّوَصُّلِ إِلَى المادَّةِ المُناسِبَةِ لِصِناعَةِ ذَلِكَ السِّلْكِ، وَقَدْ ساعَدَهُ في ذَلِكَ تَصْمِيْمُهُ وَعَزِيْمَتُهُ.

فَقَدْ جَرَّبَ الشَّعْرَ البَشَرِيَّ، وَأَلْيافَ قِشْرَةِ جَوْزِ الهِنْدِ، وَالخَيْزُرانَ، إِلَّا أَنَّ جَمِيْعَها لَمْ يُحَقِّقِ النَّتِيْجَةَ المَطْلُوْبَةَ، وَبَيْنَما كانَ (أديسون) يَعْبَثُ بِزِرِّ مِعْطَفِهِ، سَقَطَ الزِّرُّ في يَدِهِ فَهَتَفَ مِنْ فَوْرِهِ قائِلاً: "هَذا ما سَأَسْتَخْدِمُهُ سِلْكاً في مِصْباحي"، قالَ ذَلِكَ وَهُوَ يَقْبِضُ عَلَى الخَيْطِ الَّذي تَعَلَّقَ بِهِ الزِّرُّ.

ثُمَّ حَوَّلَ (أديسون) الخَيْطَ إِلَى عُنْصُرِ الفَحْمِ، وَذَلِكَ بِوَضْعِهِ فِي قَالَبِ النِّيْكِلِ، بَعْدَ ذَلِكَ وَضَعَ القَالَبَ فِي فُرْنٍ مُدَّةَ خَمْسِ سَاعَاتٍ؛ لِيَتَمَكَّنَ مِنَ الحُصُوْلِ عَلَى ذَلِكَ الخَيْطِ الرَّفِيْعِ بَعْدَ تَبْرِيْدِ القَالَبِ، ثُمَّ أَدْخَلَ الخَيْطَ إِلَى المِصْبَاحِ الزُّجَاجِيِّ الَّذِي أَفْرَغَهُ مِنَ الهَوَاءِ؛ لِأَنَّ السِّلْكَ يَحْتَرِقُ إِنْ بَقِيَ الهَوَاءُ دَاخِلَ حَبَابَةِ المِصْبَاحِ.



بَعْدَ ذَلِكَ عَمَدَ (أديسون) إِلَى تَمْرِيْرِ التَّيَّارِ الكَهْرَبَائِيِّ فِي المِصْبَاحِ؛ لِيَعْرِفَ كَمْ مِنَ الوَقْتِ سَيَبْقَى ذَلِكَ المِصْبَاحُ مُتَوَهِّجاً، ثُمَّ انْتَظَرَ وَهُوَ يَحْبِسُ أَنْفَاسَهُ، فَقَدْ أَمْضَى لَيْلَتَهُ وَهُوَ يَعْمَلُ، حَتَّى بَلَغَ بِهِ التَّعَبُ حَدّاً بَعِيْداً، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ مُصَمِّماً عَلَى مُوَاصَلَةِ العَمَلِيَّةِ إِلَى النِّهَايَةِ.

وَهَكَذَا تَوَهَّجَ السِّلْكُ مُدَّةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِيْنَ سَاعَةً، مَا جَعَلَ وَجْهَ (أديسون) يَتَهَلَّلُ مِنَ الفَرَحِ لِنَجَاحِهِ فِي هَذَا العَمَلِ، حَيْثُ تَمَكَّنَ أَخِيْراً مِنَ اخْتِرَاعِ المِصْبَاحِ الكَهْرَبَائِيِّ.

لِذَا حِيْنَمَا تُشْعِلُ أَيَّ ضَوْءٍ فِي غُرْفَتِكَ تَذَكَّرْ أَنَّ هَذَا الضَّوْءَ مَا هُوَ إِلَّا بَعْضُ الأُمُوْرِ الَّتِي تَشْهَدُ عَلَى عَظَمَةِ (توماس ألفا أديسون)، الَّذِي تَوَصَّلَ إِلَى الكَثِيْرِ مِنَ المُخْتَرَعَاتِ بِفَضْلِ عَزِيْمَتِهِ وَصَبْرِهِ وَتَصْمِيْمِهِ.

هيلين كيللر



كَانَتْ (هيلين) الصَّغيْرَةُ البَالِغَةُ مِنَ العُمْرِ سَنَةً وَنِصْفَ السَّنَةِ تَبْكِي فِي مَهْدِهَا الصَّغِيْرِ، فَقَدْ تَعَرَّضَتْ لِحُمَّى شَدِيْدَةٍ، وَفَقَدَ الأَطِبَّاءُ الأَمَلَ فِي شِفَائِهَا، أَمَّا وَالِدَاهَا فَقَدْ أَضْنَاهُمَا القَلَقُ وَالحَيْرَةُ وَالحُزْنُ عَلَى مَصِيْرِ اِبْنَتِهِمَا الَّتِي قَدْ تَقْضِي نَحْبَهَا، وَلَكِنْ لِحُسْنِ الحَظِّ أَنَّ (هيلين) الصَّغِيْرَةَ قَدْ نَجَتْ، غَيْرَ أَنَّ وَالِدَيْهَا اِكْتَشَفَا أَنَّهَا أَصْبَحَتْ عَمْيَاءَ صَمَّاءَ.

بَدَأَتِ الطِّفْلَةُ الصَّغِيْرَةُ الَّتِي اِعْتَادَتِ اللَّعِبَ تَحْتَ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ تَتَسَاءَلُ: أَيْنَ اِخْتَفَتِ الأَضْوَاءُ فَجْأَةً؟!

وَلِمَاذَا أَصْبَحَتْ أَيَّامُهَا سِلْسِلَةً مِنَ الظَّلَامِ الدَّامِسِ؟

وَأَخَذَتْ تَسْأَلُ أُمَّهَا: "مَتَى سَيَحُلُّ النَّهَارُ يَا أُمَّاهُ؟"

غَيْرَ أَنَّهَا لَمْ تَتَمَكَّنْ أَيْضاً مِنْ سَمَاعِ جَوَابِ أُمِّهَا، ثُمَّ بَدَأَتْ أَسْئِلَتُهَا تَتَوَقَّفُ تَدْرِيْجِيّاً بَعْدَمَا غَابَ عَنْهَا صَوْتُ أُمِّهَا، بَلْ حَتَّى صَوْتُهَا.

وَهَكَذَا بَقِيَتْ (هيلين) تَتْبَعُ وَالِدَتَهَا أَيْنَمَا ذَهَبَتْ وَحَلَّتْ، فِي مُحَاوَلَةٍ مِنْهَا لِتَعَلُّمِ الأُمُوْرِ الَّتِي كَانَتْ أُمُّهَا تُمَارِسُهَا، شَأْنُهَا فِي ذَلِكَ شَأْنُ أَيِّ طِفْلٍ أَوْ طِفْلَةٍ فِي عُمْرِهَا.

إِلَّا أَنَّ (هيلين) كَانَتْ تَتَمَتَّعُ بِذَكَاءٍ حَادٍّ وَقُوَّةِ تَرْكِيْزٍ، فَقَدْ كَانَتْ مُفْعَمَةً بِالحَيَوِيَّةِ وَالنَّشَاطِ، لَمْ تَسْتَسْلِمْ يَوْماً، أَوْ تَكُفَّ عَمَّا كَانَتْ تُمَارِسُهُ خَوْفاً مِنَ المَجْهُوْلِ.

كَانَتْ أُمُّ (هيلين) تَشْعُرُ بِالأَسَى لِمَا أَصَابَ ابْنَتَهَا الصَّغِيْرَةَ، لَكِنَّهَا تَحَلَّتْ بِالصَّبْرِ، وَبَذَلَتْ كُلَّ مَا بِوُسْعِهَا القِيَامُ بِهِ لِتُعَلِّمَهَا الاعْتِمَادَ عَلَى نَفْسِهَا.

وَقَدْ كَانَ لَدَى (هيلين) عَزِيْمَةٌ وَتَصْمِيْمٌ مِنْ نَوْعٍ فَرِيْدٍ.

كَانَ كُلُّ مَا تَبَقَّى مِنْ حَوَاسِّ (هيلين) هُوَ حَاسَّتَا الشَّمِّ وَاللَّمْسِ، وَمِنْ هُنَا فَقَدْ تَعَلَّمَتْ (هيلين) الكَثِيْرَ مِنَ الأُمُوْرِ مِنْ تَلَمُّسِ الأَشْيَاءِ، وَالأَشْخَاصِ الَّذِيْنَ كَانَتْ تَلْمِسُ أَيْدِيَهُمْ لِتَعْرِفَ مَاذَا يَفْعَلُوْنَ، كَمَا كَانَتْ تَتَلَمَّسُ شِفَاهَهُمْ لِتَعْلَمَ مَاذَا يَقُوْلُوْنَ، وَتَمَكَّنَتْ (هيلين) مِنْ تَكْوِيْنِ لُغَةِ إِشَارَةٍ خَاصَّةٍ بِهَا لِكَي يَسْتَطِيْعَ كُلُّ مَنْ فِي بَيْتِهَا أَنْ يَفْهَمَ مَا تُرِيْدُ، فَقَدْ كَانَتْ تَقْرُصُ ظَاهِرَ كَفِّهَا لِتُعَبِّرَ عَنْ كَلِمَةِ: "صَغِيْرٍ"، كَمَا كَانَتْ تَرْتَدِي النَّظَّارَاتِ لِتُعَبِّرَ عَنْ كَلِمَةِ: "أَب".

وَعَلَى حَدَاثَةِ سِنِّهَا، إِلَّا أَنَّ عَزِيْمَتَهَا وَتَصْمِيْمَهَا كَانَا كَبِيْرَيْنِ، وَكَانَتْ (هيلين) تَنْشُدُ الإِتْقَانَ فِي أَيِّ عَمَلٍ تُؤَدِّيْهِ، وَتَشْعُرُ بِاخْتِلَافِهَا عَنِ الآخَرِيْنَ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهَا لَا تَرَى أَيَّ رَدَّةِ فِعْلٍ عَلَى وُجُوْهِ مَنْ حَوْلَهَا حِيْنَمَا تَتَكَلَّمُ، نَاهِيْكَ عَنْ عَدَمِ قُدْرَتِهَا عَلَى سَمَاعِ الأَصْوَاتِ.

وَقَدْ كَانَ وَالِدَا (هيلين) يَرْغَبَانِ بِأَنْ تَسِيْرَ حَيَاةُ ابْنَتِهِمَا طَبِيْعِيَّةً، وَأَلَّا تَشْعُرَ بِنَقْصِهَا وَإِعَاقَتِهَا.





إذْ يَكْفِيْهَا الظَّلامُ المطْبَقُ الَّذي تَعِيْشُ فِيْهِ، لِذَا فَقَدْ عَرَضَ أَبَوَاهَا حَالَتَهَا عَلَى طَبِيْبٍ مُخْتَصٍّ، وَلَمْ يَمْنَحْهُمَا ذَلِكَ الطَّبِيْبُ كَبِيْرَ أَمَلٍ بِشِفَاءِ ابْنَتِهِمَا، إلَّا أَنَّهُ حَوَّلَ حَالَتَهَا إِلَى الطَّبِيْبِ (ألكسندر غراهام بيل)، وَهُوَ الشَّخْصُ ذَاتُهُ الَّذي اخْتَرَعَ الهَاتِفَ، وَكَانَ قَدْ عَمِلَ أَبْحَاثاً عَدِيْدَةً حَوْلَ الأَصْوَاتِ، وَلَهُ اهْتِمَامٌ كَبِيْرٌ بِمُسَاعَدَةِ الصُّمِّ؛ لِأَنَّ وَالِدَتَهُ كَانَتْ تُعَانِي مِنَ الصَّمَمِ، ثُمَّ تَبِعَتْهَا زَوْجَتُهُ فِي مَرْحَلَةٍ لَاحِقَةٍ.

وَقَدْ أَحَبَّتْ (هيلين) الطَّبِيْبَ (بيل) فَوْرَ تَعَرُّفِهَا عَلَيْهِ، وَأَصْبَحَا صَدِيْقَيْنِ حَمِيْمَيْنِ، فَقَدِ اسْتَطَاعَ كُلٌّ مِنْهُمَا أَنْ يَفْهَمَ الآخَرَ.

وَلِهَذَا نَصَحَ الطَّبِيْبُ (بيل) بِإِرْسَالِ (هيلين) إِلَى مَعْهَدٍ فِي (بوسطن)، حَيْثُ تَلَقَّتْ عُلُوْمَهَا هُنَاكَ، وَعَنْ طَرِيْقِ ذَلِكَ المعْهَدِ تَعَرَّفَتْ أُسْرَتُهَا عَلَى المُدَرِّسَةِ الرَّائِعَةِ (آني سوليفان)، الَّتِي لَازَمَتْ (هيلين) فَتْرَةً طَوِيْلَةً مِنَ الزَّمَنِ.

وَفِي اليَوْمِ الَّذي وَصَلَتْ فِيْهِ (آني) إِلَى مَنْزِلِ عَائِلَةِ (كيللر) عَمَّتْ فَرْحَةٌ عَارِمَةٌ ذَلِكَ البَيْتَ، وَقَدْ أَحَسَّتْ (هيلين) بِتِلْكَ الفَرْحَةِ، وَشَعَرَتْ بِقُرْبِ وُصُوْلِ شَخْصٍ مُهِمٍّ إِلَى مَنْزِلِهَا.

وَعِنْدَمَا وَصَلَتِ المُدَرِّسَةُ (آني) بَدَأَتْ (هيلين) بِتَحَسُّسِهَا، وَتَلَمُّسِ أَشْيَائِهَا، وَمِنْ ثَمَّ أَخَذَتْ تَتْبَعُهَا مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ، وَمَعَ إِصْرَارِ (هيلين) عَلَى التَّعَلُّمِ، وَرَغْبَةِ (آني) بِتَعْلِيْمِهَا، تَمَكَّنَتِ الأَخِيْرَةُ مِنْ تَعْلِيْمِهَا لُغَةَ الإِشَارَةِ، فَأَصْبَحَتْ (هيلين) مَعَهَا قَادِرَةً عَلَى اسْتِيْعَابِ مَا علمه لها (آني) أَفْضَلَ.

وَبَعْدَ إِتْقَانِ (هيلين) لِلُغَةِ الإِشَارَةِ تَعَمَّقَتْ صِلَةُ المَوَدَّةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ (آني)، فَبَدَأَتْ تُعَلِّمُهَا الكَلِمَاتِ، وَذَلِكَ بِكِتَابَةِ تَهْجِئَةِ الكَلِمَةِ عَلَى رَاحَةِ يَدِ (هيلين)، ثُمَّ نُطْقِهَا بِصَوْتٍ عَالٍ، فَكَانَ وَجْهُ (هيلين) يَتَهَلَّلُ حُبُوْراً وَبَهْجَةً كُلَّمَا تَعَلَّمَتْ مُفْرَدَةً جَدِيْدَةً، وَمَعَ الأَيَّامِ أَصْبَحَتْ (هيلين) تَتَلَمَّسُ الأَشْيَاءَ، ثُمَّ تَسْأَلُ (آني) عَنْ تَسْمِيَاتِهَا.



بَعْدَ ذَلِكَ بَدَأَتْ (آني) بِتَعْلِيمِ (هيلين) عَنْ طَرِيْقِ البِطَاقَاتِ الَّتِي تَحْمِلُ حُرُوْفاً نافِرَةً، حَيْثُ كَانَتْ (هيلين) تَتَحَسَّسُ الحُرُوْفَ، وَشَيْئاً فَشَيْئاً بَدَأَتْ (هيلين) تَتَعَلَّمُ الكِتَابَةَ، فَخَصَّتْ وَالِدَتَهَا بِأَوَّلِ كَلِمَةٍ كَتَبَتْهَا.

وَمَعَ إِصْرَارِهَا العَظِيْمِ، وَقُدْرَتِهَا عَلَى رُؤْيَةِ الجَانِبِ المُشْرِقِ مِنَ الأُمُوْرِ، تَمَكَّنَتْ (هيلين) مِنَ التَّغَلُّبِ عَلَى إِعَاقَتِهَا؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ مُصَمِّمَةً عَلَى الاِسْتِمْتَاعِ بِالحَيَاةِ، فَلَمْ تَكُنْ تَسْتَكِيْنُ، أَوْ تَسْتَسْلِمُ لِلحُزْنِ، أَوْ تَنْدُبُ حَظَّهَا العَاثِرَ، بَلْ كَانَتْ تَعُدُّ كُلَّ مَا مَنَحَهَا اللهُ إِيَّاهُ هِبَةً رَبَّانِيَّةً، فَتَسْتَخْدِمُهُ كَبِذْرَةٍ صَالِحَةٍ، وتَتَعَهَّدُهَا بِالعِنَايَةِ وَالرِّعَايَةِ.

وَقَدْ كَانَ أَوَّلُ عِيْدِ مِيْلادٍ قَضَتْهُ (هيلين) من مُدَرِّسَتِهَا (آني) تَجْرِبَةً مُؤَثِّرَةً لِأَفْرَادِ أُسْرَتِهَا جَمِيْعاً؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ ابْنَتَهُمْ اِسْتَطَاعَتْ أَنْ تُحَقِّقَ الكَثِيْرَ مِنَ الأُمُوْرِ فِي عَامٍ وَاحِدٍ.

فَقَدْ تَعَلَّمَتِ الكِتَابَةَ، وَكَانَتْ تَسْتَعِدُّ فِي تِلْكَ الآوِنَةِ لِتَعَلُّمِ النُّطْقِ وَالكَلامِ، خَاصَّةً بَعْدَمَا بَلَغَهَا نَبَأُ الفَتَاةِ السُّوَيْدِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تُعَانِي مِنَ الصَّمَمِ وَالعَمَى، لَكِنَّهَا تَمَكَّنَتْ مِنْ تَعَلُّمِ النُّطْقِ.

وَهُنَا جَاءَتْ وَظِيْفَةُ الآنِسَةِ (فولر) الَّتِي أَخَذَتْ تَضَعُ أَصَابِعَ (هيلين) فِي فَمِهَا

عِنْدَمَا تَتَكَلَّمُ، وَبِهَذِهِ الطَّرِيْقَةِ تَمَكَّنَتْ (هيلين) مِنْ تَلَمُّسِ حَرَكَةِ الشِّفَاهِ وَاللِّسَانِ عِنْدَ الكَلَامِ، إِلَّا أَنَّ تِلْكَ العَمَلِيَّةَ لَمْ تَكُنْ سَهْلَةً أَبداً، إِذِ اسْتَغْرَقَ الأَمْرُ أَحَدَ عَشَرَ دَرْساً لِتَتَمَكَّنَ (هيلين) بَعْدَهَا مِنَ التَّلَعْثُمِ أَثْنَاءَ نُطْقِ أَوَّلِ جُمْلَةٍ لَهَا، وَهَذَا وَحْدَهُ كَفِيْلٌ بِدَفْعِ كُلِّ مَنْ لَا يَتَمَتَّعُ بِالعَزِيْمَةِ إِلَى الاِسْتِسْلَامِ، لَكِنَّ هَذَا لَمْ يَكُنْ لِيَنْطَبِقَ عَلَى (هيلين) صَاحِبَةِ الإِرَادَةِ القَوِيَّةِ، الَّتِي اِسْتَمَرَّتْ بِالمُثَابَرَةِ عَلَى التَّعَلُّمِ، وَلَمْ تَتَخَلَّ عَمَّا كَانَتْ تَصْبُو إِلَيْهِ، رَغْمَ أَنَّهُ كَانَ عَلَيْهَا أَنْ تُنَاضِلَ سَنَوَاتٍ عَدِيْدَةً قَبْلَ أَنْ تَتَمَكَّنَ مِنَ التَّحَدُّثِ بِثِقَةٍ أَمَامَ الآخَرِيْنَ.

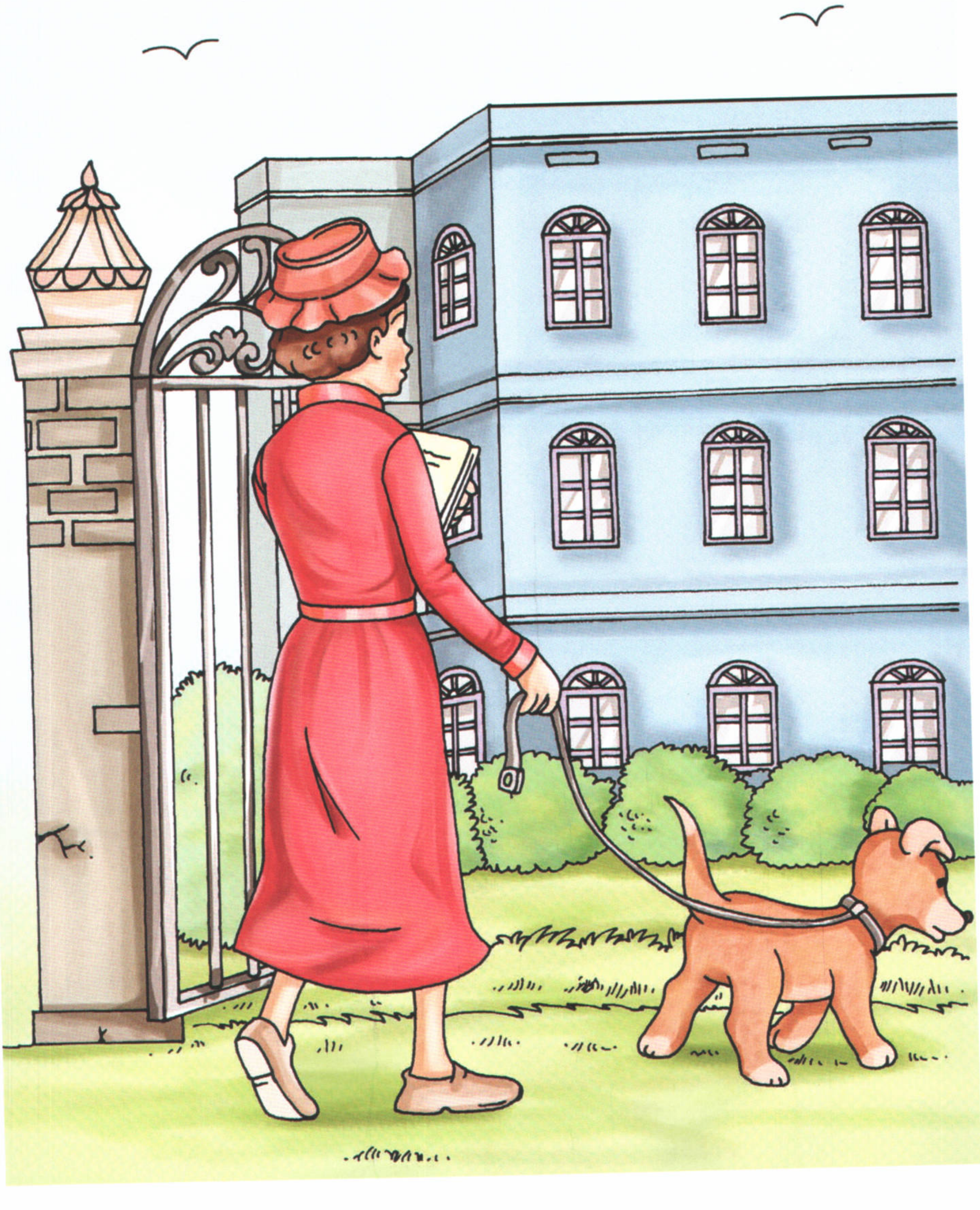
وَبَعْدَ أَنْ تَمَكَّنَتْ (هيلين) مِنَ النُّطْقِ، وَأَصْبَحَتْ تَتَكَلَّمُ بِطَلَاقَةٍ، عَاوَدَتِ العَمَلَ عَلَى صَقْلِ قُدْرَاتِهَا الكِتَابِيَّةِ، فَنَجَحَتْ فِي كِتَابَةِ قِصَّةٍ قَصِيْرَةٍ.

بَعْدَ ذَلِكَ بَدَأَتْ (هيلين) تُفَكِّرُ فِي دُخُوْلِ الجَامِعَةِ، وَتَحْلُمُ بِالذَّهَابِ إِلَيْهَا، فَظَنَّ البَعْضُ بِأَنَّهَا تَشُطُّ فِي أَحْلَامِهَا وَطُمُوْحَاتِهَا الَّتِي لَا يُمْكِنُ تَحْقِيْقُهَا، وَلَنْ تَصِلَ بِهَا إِلَى حَيْثُ تُرِيْدُ، إِلَّا أَنَّ (هيلين) ثَابَرَتْ فِي دِرَاسَتِهَا، وَكَانَتْ مُعَلِّمَتُهَا (آني) تُشَجِّعُهَا دَائِماً، مَا جَعَلَهَا تُحَقِّقُ كُلَّ مَا كَانَتْ تَصْبُو إِلَيْهِ.

وَفِي عَامِ ١٩٠٠ تَمَكَّنَتْ (هيلين) مِنَ الحُصُوْلِ عَلَى مَا كَانَتْ تَسْعَى إِلَيْهِ، وَتَمَثَّلَ ذَلِكَ بِقَبُوْلِهَا لِلدِّرَاسَةِ فِي كُلِّيَّةِ (رادكليف)، وَهُنَاكَ أَخَذَتْ (هيلين) تُشَارِكُ فِي أَنْشِطَةٍ مُتَنَوِّعَةٍ، كَالسِّبَاحَةِ، وَرُكُوْبِ الخَيْلِ، إِلَى جَانِبِ الدِّرَاسَةِ، فَهَلْ تَتَخَيَّلُ -عَزِيْزِي القَارِئَ- أَنْ تَتَمَكَّنَ فَتَاةٌ عَمْيَاءُ مِنْ فِعْلِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ لَقَدْ كَانَتْ عَزِيْمَتُهَا هِيَ الَّتِي تَدْفَعُهَا إِلَى فِعْلِ ذَلِكَ، وَبَعْدَ مُرُوْرِ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ نَجَحَتْ (هيلين) فِي الحُصُوْلِ عَلَى إِجَازَةٍ فِي الآدَابِ.

تَفَرَّغَتْ (هيلين) بَعْدَ ذَلِكَ لِكِتَابَةِ سِيْرَتِهَا الذَّاتِيَّةِ الَّتِي أَسْمَتْهَا: (قِصَّةُ حَيَاتِي).





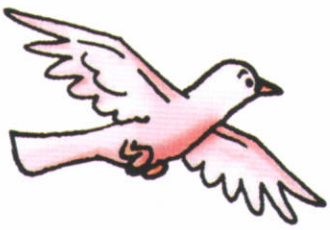
وَقَدْ جمعَتْ (هيلين) بِفَضْلِ ذَلِكَ الكِتَابِ ثَرْوَةً طَائِلَةً، أَمَّا عَزِيْمَتُهَا فَقَدْ وَظَّفَتْهَا فِي مُسَاعَدَةِ المُحْتَاجِيْنَ وَالفُقَرَاءِ، وَكُلِّ المَظْلُوْمِيْنَ وَالمَقْهُوْرِيْنَ اِجْتِمَاعِيّاً.

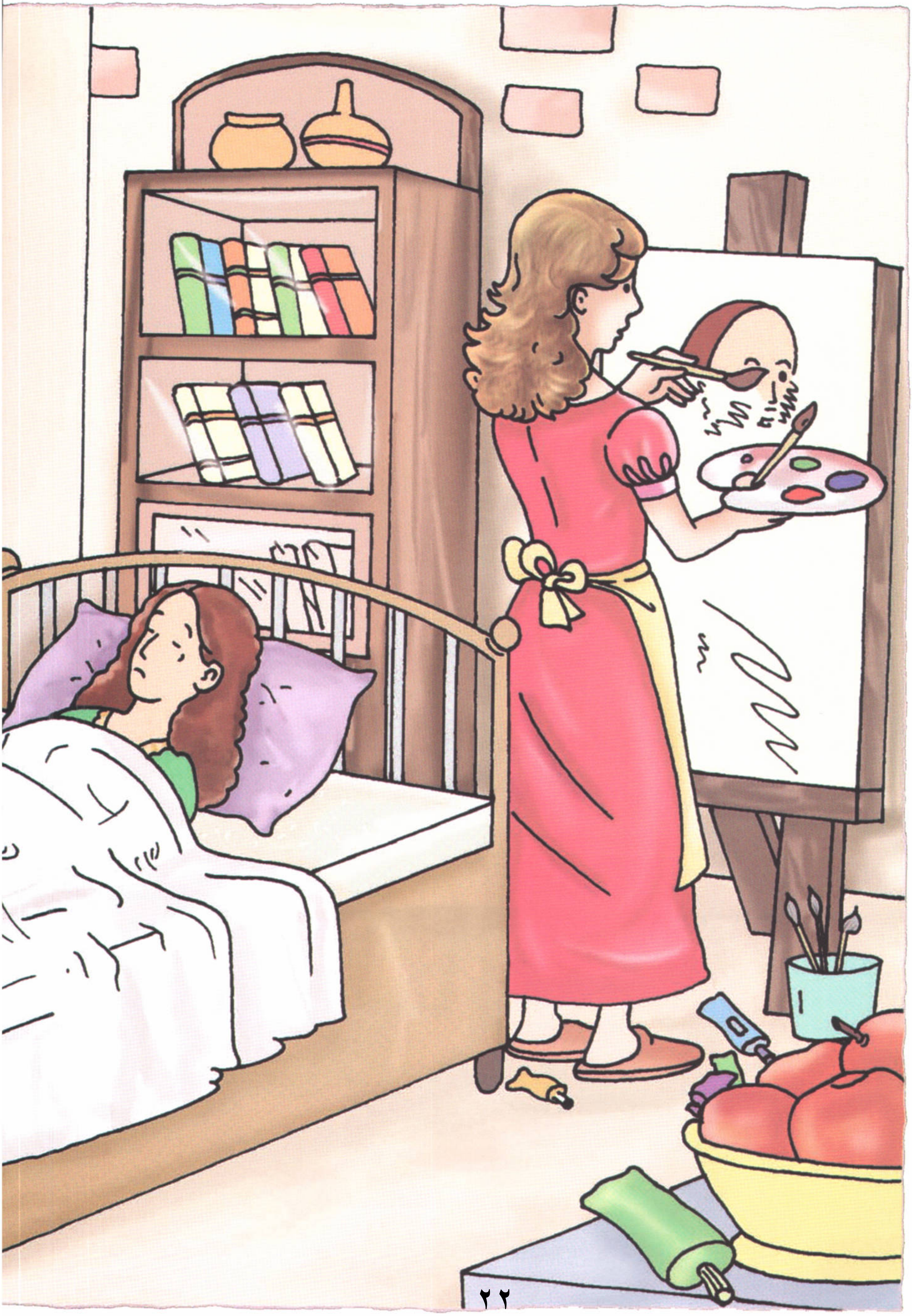
كَانَتْ (هيلين) تَتَمَتَّعُ بِلُطْفٍ كَبِيْرٍ بِطَبِيْعَتِهَا، وَهَذَا مَا جَعَلَهَا تَبْذُلُ قُصَارَى جُهْدِهَا لِمَنْعِ إِرْسَالِ طِفْلٍ يُدْعَى (تومي)، يُعَانِي مِنْ إِعَاقَتِهَا ذَاتِهَا، إِلَى دَارٍ لِلْفُقَرَاءِ مِنَ الأَيْتَامِ.

فِي ذَلِكَ الحِيْنِ أَصْبَحَتْ (هيلين) مِنَ الشَّخْصِيَّاتِ المَشْهُوْرَةِ، وَذَلِكَ بَعْدَمَا اطَّلَعَ النَّاسُ عَلَى مَدَى تَصْمِيْمِهَا، وَعَزِيْمَتِهَا الَّتِي سَاعَدَتْهَا فِي التَّغَلُّبِ عَلَى إِعَاقَتِهَا، وَكَانَ كُلُّ مَنِ اهْتَمَّ بِأَمْرِهَا يُقَدِّمُ لَهَا الدَّعْمَ، إِلَّا أَنَّ (هيلين) كَانَتْ عَلَى يَقِيْنٍ مِنْ أَنَّهَا لَوْلَا دَعْمُهَا لِنَفْسِهَا، وَمُسَاعَدَتُهَا لِذَاتِهَا، لَمَا تَمَكَّنَ أَحَدٌ مِنْ مُسَاعَدَتِهَا.

وَحَدَثَ مَرَّةً أَنْ أَطْلَقَ بَعْضُ رِجَالِ الشُّرْطَةِ النَّارَ عَلَى كَلْبِ (هيلين) الَّذِي كَانَتْ تَسْتَعِيْنُ بِهِ لِإِرْشَادِهَا فِي مَسِيْرِهَا، حَيْثُ ظَنَّ الشُّرْطِيُّ أَنَّهُ كَلْبٌ شَارِدٌ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَسِيْرُ وَحْدَهُ، فَأَطْلَقَ النَّارَ عَلَيْهِ، فَأَثَارَتْ هَذِهِ الحَادِثَةَ حَالَةً مِنَ التَّعَاطُفِ الشَّدِيْدِ مَعَ وَضْعِ (هيلين)، فَجَمَعَ النَّاسُ تَبَرُّعَاتٍ مَالِيَّةً لَهَا، وَأَمَّا (هيلين) فَقَدْ سَاعَدَتِ الفَتَى (تومي) بِذَلِكَ المَالِ بَدَلاً مِنَ السَّمَاحِ لَهُمْ بِإِرْسَالِهِ إِلَى المَيْتَمِ.

لَقَدْ كَانَ الإِصْرَارُ وَالعَزِيْمَةُ وَالتَّصْمِيْمُ رِفَاقَ دَرْبِ (هيلين) فِي حَيَاتِهَا، وَقَدْ تَحَوَّلَ تَصْمِيْمُهَا مُنْذُ ذَلِكَ الوَقْتِ إِلَى تَصْمِيْمٍ عَلَى مُسَاعَدَةِ الآخَرِيْنَ، فَقَدْ فَتَحَتْ أَبْوَابَ الأَمَلِ وَالشَّجَاعَةِ أَمَامَ النَّاسِ رَغْمَ فِقْدَانِهَا نِعْمَتَيْ السَّمْعِ وَالبَصَرِ.





الوَرَقَةُ الأَخِيْرَةُ

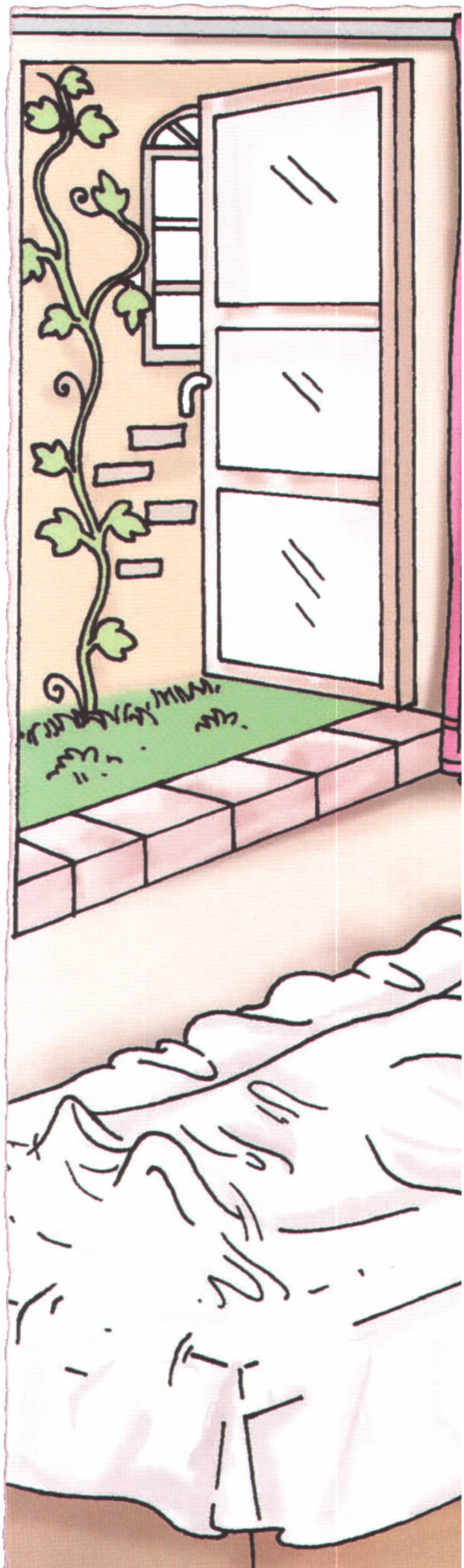
كَانَتِ القَرْيَةُ الخَضْرَاءُ تُمَثِّلُ المَلاذَ العَتِيْقَ وَالأَصِيْلَ لِلْفَنَّانِيْنَ الَّذِيْنَ كَانُوْا يَقْصِدُوْنَهَا بَحْثاً عَنْ بُيُوْتٍ رَخِيْصَةٍ لِيَعِيْشُوْا فِيْهَا، وَفي تِلْكَ القَرْيَةِ وَعَلَى سَطْحِ بَعْضِ الأَبْنِيَةِ القِرْمِيْدِيَّةِ كَانَتْ (شَيْمَاءُ) وَ(جِيْهَانُ) تَعِيْشَانِ في شُقَّتِهِمَا الصَّغِيْرَةِ، وَقَدِ اجْتَمَعَتَا، وَوَجَدَتَا تَآلُفاً وَتَنَاغُماً وَانْسِجَاماً بَيْنَهُمَا مِنْ حَيْثُ الذَّوْقُ وَالاهْتِمَامَاتُ، رَغْمَ أَنَّ كِلَيْهِمَا قَدْ أَتَتْ مِنْ مَدِيْنَةٍ مُخْتَلِفَةٍ؛ لِذَا قَرَّرَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَنْ تُحَافِظَ عَلَى الصَّدَاقَةِ مَعَ الأُخْرَى، كَمَا اتَّفَقَتَا عَلَى العَيْشِ المُشْتَرَكِ فِي تِلْكَ الشُّقَّةِ المُتَوَاضِعَةِ.

وَقَدْ حَدَثَ ذَلِكَ في شَهْرِ أَيَّارَ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا حَلَّ شَهْرُ تِشْرِيْنَ الثَّانِي حَلَّ ضَيْفٌ ثَقِيْلُ الظِّلِّ عَلَى القَرْيَةِ، أَطْلَقَ عَلَيْهِ الأَطِبَّاءُ اسْمَ: (الالْتِهَابِ الرِّئَوِيِّ) الَّذِي أَخَذَ يَنْتَشِرُ بَيْنَ سُكَّانِ القَرْيَةِ، وَسَقَطَ عَلَى يَدَيْهِ عَشَرَاتُ الضَّحَايَا، الَّذِيْنَ صَارَعُوْهُ حَتَّى المَوْتِ.

هَذَا، وَقَدْ وَقَعَتْ (جِيْهَانُ) ضَحِيَّةً لِذَلِكَ المَرَضِ، فَقَدْ كَانَتِ امْرَأَةً ضَعِيْفَةَ البِنْيَةِ، وَأَخَذَتْ تُصَارِعُ المَوْتَ، فَكَانَتْ تَتَمَدَّدُ في سَرِيْرِهَا الحَدِيْدِيِّ دُوْنَ أَنْ تَسْتَطِيْعَ الإِتْيَانَ بِأَيِّ حَرَكَةٍ، ثُمَّ تَنْظُرُ مِنَ النَّافِذَةِ المَوْجُوْدَةِ في جِدَارِ البَيْتِ القِرْمِيْدِيِّ الَّذِي يَلِي شُقَّتَهُمَا إِلَى أَنْ يَهُدَّهَا التَّعَبُ وَالإِنْهَاكُ، فَتَسْتَسْلِمُ لِلنَّوْمِ العَمِيْقِ.

وَفي صَبَاحِ يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ أَرْسَلَ الطَّبِيْبُ الَّذِي شُغِلَ بِمُعَالَجَةِ أُوْلَئِكَ المَرْضَى إِلَى صَدِيْقَتِهِ (شَيْمَاءَ) لِتَزُوْرَهُ في عِيَادَتِهِ؛ لأَنَّهُ كَانَ يَوَدُّ أَنْ يُحَدِّثَهَا عَلَى انْفِرَادٍ.

وَبَعْدَمَا نَظَرَ إِلَى مِيْزَانِ الحَرَارَةِ، وَأَخَذَ يَرُجُّ الزِّئْبَقَ المَوْجُوْدَ فِيْهِ خَاطَبَ (شَيْمَاءَ) قَائِلاً: "لَدَى صَدِيْقَتِكِ فُرْصَةٌ لِلنَّجَاةِ مِنْ بَيْنِ عَشْرِ فُرَصٍ، وَبِوُسْعِهَا أَنْ تَعِيْشَ بَعْدَهَا، بَيْدَ أَنَّ صَدِيْقَتَكِ المِسْكِيْنَةَ قَدْ قَرَّرَتْ أَلَّا تَنْجُوَ مِنْ مَرَضِهَا، فَهَلْ لَدَيْهَا أَيُّ أُمْنِيَةٍ تَرْغَبُ فِي تَحْقِيْقِهَا؟"



رَدَّتْ (شَيْمَاءُ): "كَانَتْ تَتَمَنَّى أَنْ تَتَمَكَّنَ مِنْ طِلَاءِ الخَلِيْجِ عَلَى البَحْرِ فِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ".



أَجَابَ الطَّبِيْبُ: "طِلَاءٌ؟! مَا هَذَا الكَلَامُ الفَارِغُ؟!! كُنْتُ أَعْنِي أَيَّ شَيْءٍ ذَا قِيْمَةٍ وَأَهَمِّيَّةٍ عِنْدَهَا".

(شَيْمَاءُ): "لَا أَظُنُّ أَنَّهَا تُفَكِّرُ بِأَيِّ شَيْءٍ مِنْ هَذَا القَبِيْلِ".

الطَّبِيْبُ: "أَظُنُّ أَنَّ نُقْطَةَ ضَعْفِهَا تَكْمُنُ فِي هَذَا المَجَالِ، إِذاً سَأَبْذُلُ مَا بِوُسْعِي، وَلَكِنْ عَلَيَّ أَنْ أُخْبِرَكِ أَنَّ المَرْضَى حِيْنَمَا يَبْدَؤُوْنَ بِالتَّفْكِيْرِ بِطُقُوْسِ جِنَازَتِهِمْ لَابُدَّ أَنْ يَخْسَرُوْا نِصْفَ فُرَصِ الشِّفَاءِ، لِذَا إِذَا كَانَ بِمَقْدُوْرِكِ أَنْ تَجْعَلِيْهَا تَسْأَلُ سُؤَالاً وَاحِداً حَوْلَ أَحْدَثِ صَيْحَاتِ الأَزْيَاءِ، عِنْدَهَا سَيُصْبِحُ لَدَيْهَا فُرْصَةٌ لِلنَّجَاةِ مِنْ بَيْنِ خَمْسِ فُرَصٍ، بَدَلاً مِنْ عَشْرِ فُرَصٍ".

وَبَعْدَ مُغَادَرَةِ الطَّبِيْبِ خَرَجَتْ (شَيْمَاءُ) إِلَى الغُرْفَةِ الَّتِي تَعْمَلُ فِيْهَا، وَرَاحَتْ تَبْكِي بِحُرْقَةٍ وَأَلَمٍ، ثُمَّ حَمَلَتْ لَوْحَ الرَّسْمِ وَدَخَلَتْ إِلَى غُرْفَةِ (جِيْهَانَ) وَهِيَ تُصَفِّرُ.

كَانَتْ (جِيْهَانُ) مُسْتَلْقِيَةً عَلَى سَرِيْرِهَا، أَمَّا وَجْهُهَا فَكَانَ مُتَّجِهاً إِلَى النَّافِذَةِ، وَكَانَتْ لَا تَكَادُ تَتَحَرَّكُ تَحْتَ أَغْطِيَةِ السَّرِيْرِ، فَتَوَقَّفَتْ (شَيْمَاءُ) عَنِ الصَّفِيْرِ؛ لِأَنَّهَا ظَنَّتْ أَنَّ صَدِيْقَتَهَا نَائِمَةٌ، ثُمَّ أَخَذَتْ (شَيْمَاءُ) تُعِدُّ لَوْحَ الرَّسْمِ، وَشَرَعَتْ بِرَسْمِ لَوْحَةٍ لِقِصَّةٍ سَتُنْشَرُ فِي بَعْضِ المَجَلَّاتِ.

وَبَيْنَمَا كَانَتْ (شَيْمَاءُ) تَرْسُمُ تَنَاهَى إِلَى سَمْعِهَا صَوْتٌ خَفِيْضٌ تَكَرَّرَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ، فَأَسْرَعَتْ نَحْوَ سَرِيْرِ (جِيْهَانَ)، فَوَجَدَتْهَا شَاخِصَةً بِبَصَرِهَا، إِذْ كَانَتْ تَنْظُرُ مِنَ النَّافِذَةِ، وَتَعُدُّ أَرْقَاماً عَكْسِيّاً.



سَمِعَتْهَا (شَيْمَاءُ) وَهِيَ تَعُدُّ: "اِثْنَا عَشَرَ"، ثُمَّ سَمِعَتْهَا وَهِيَ تَقُوْلُ: "أَحَدَ عَشَرَ"، بَعْدَ ذَلِكَ قَالَتْ: "عَشَرَةٌ"، ثُمَّ "تِسْعَةٌ"، ثُمَّ "ثَمَانِيَةٌ"، وَ"سَبْعَةٌ"، حَيْثُ بَدَتْ كَأَنَّهَا تَنْطِقُ بِهَذَيْنِ الرَّقْمَيْنِ مَعاً.

عِنْدَهَا نَظَرَتْ (شَيْمَاءُ) مِنَ النَّافِذَةِ لِتَعْرِفَ مَا الَّذِي كَانَتْ تَعُدُّهُ (جِيْهَانُ)، إِذْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ سِوَى بَاحَةٍ مُوْحِشَةٍ، وخَالِيَةٍ، وَقَاحِلَةٍ، إِضَافَةً إِلَى الجَانِبِ الفَارِغِ مِنَ البَيْتِ القِرْمِيْدِيِّ الَّذِي يَبْعُدُ عَنْ بِنَائِهِمَا أَرْبَعِيْنَ قَدَماً، وَكَانَتْ هُنَاكَ أَيْضاً نَبْتَةُ اللَّبْلَابِ القَدِيْمَةُ الَّتِي تَعَرَّجَتْ فُرُوْعُهَا، وَتَعَفَّنَتْ جُذُوْرُهَا، بَيْدَ أَنَّ أَغْصَانَهَا المُتَعَرِّشَةَ غَطَّتْ نِصْفَ الحَائِطِ القِرْمِيْدِيِّ، كَمَا أَسْقَطَ النَّسِيْمُ الخَرِيْفِيُّ البَارِدُ بَعْضَ أَوْرَاقِهَا المُصْفَرَّةِ.

عِنْدَهَا صَاحَتْ (شَيْمَاءُ): "مَا الَّذِي دَهَاكِ يَا عَزِيْزَتِي؟"

إِلَّا أَنَّ (جِيْهَانَ) تَابَعَتِ العَدَّ وَهِيَ تَهْمِسُ: "سِتَّةٌ، أَصْبَحَتِ الأَوْرَاقُ تَسْقُطُ الآنَ أَسْرَعَ مِمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ، وَهَا قَدْ سَقَطَتْ وَرَقَةٌ أُخْرَى، وَلَمْ يَتَبَقَّ سِوَى خَمْسِ وَرَقَاتٍ".

رَدَّتْ (شَيْمَاءُ): "مَا هِيَ تِلْكَ الخَمْسُ يَا عَزِيْزَتِي؟ هَيَّا أَخْبِرِيْنِي! أَلَسْتُ صَدِيْقَتَكِ العَزِيْزَةَ؟"

قَالَتْ (جِيْهَانُ): "إِنَّهَا أَوْرَاقُ اللَّبْلَابِ، وَعِنْدَمَا تَسْقُطُ الوَرَقَةُ الأَخِيْرَةُ لَا بُدَّ أَنِّي سَأَمُوْتُ".

صَاحَتْ بِهَا (شَيْمَاءُ): "لَمْ أَسْمَعْ بِهَذَا الهُرَاءِ مِنْ قَبْلُ! إِذْ مَا عَلَاقَةُ أَوْرَاقِ اللَّبْلَابِ الصَّفْرَاءِ بِصِحَّتِكِ؟ لَقَدْ طَمْأَنَنِي الطَّبِيْبُ هَذَا الصَّبَاحَ بِأَنَّ فُرَصَ شِفَائِكِ مِنَ المَرَضِ كَبِيْرَةٌ حَقّاً، لِذَا حَاوِلِي أَنْ تَتَنَاوَلِي بَعْضَ الحِسَاءِ فَوْراً".

رَدَّتْ (جِيْهَانُ): "أَرْجُوْكِ لَا تُضَايِقِيْنِي؛ لِأَنِّي أُرِيْدُ أَنْ أُشَاهِدَ الوَرَقَةَ الأَخِيْرَةَ وَهِيَ تَسْقُطُ قَبْلَ حُلُوْلِ الظَّلَامِ، وَبَعْدَهَا سَأَتْبَعُهَا أَنَا أَيْضاً".

عِنْدَ ذَلِكَ انْحَنَتْ (شَيْمَاءُ) فَوْقَ صَدِيْقَتِهَا، وَقَالَتْ لَهَا: "جِيْهَانُ.. عَزِيْزَتِي، عِدِيْنِي أَنْ تُغْلِقِي عَيْنَيْكِ، وَأَلَّا تَنْظُرِي مِنَ النَّافِذَةِ إِلَى أَنْ أَفْرُغَ مِنْ عَمَلِي، كَانَ الأَجْدَرُ بِي أَنْ أُسْدِلَ السِّتَارَ، غَيْرَ أَنِّي أَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ النُّوْرِ".

رَدَّتْ (جِيْهَانُ): "أَخْبِرِيْنِي حَالَمَا تَنْتَهِيْنَ مِنَ العَمَلِ؛ لِأَنَّنِي أُرِيْدُ أَنْ أُشَاهِدَ الوَرَقَةَ الأَخِيْرَةَ وَهِيَ تَسْقُطُ، فَقَدْ تَعِبْتُ مِنَ الِانْتِظَارِ، وَأَرْغَبُ فِي أَنْ أَهْبِطَ، وَأَسْقُطَ كَمَا تَسْقُطُ كُلُّ وَرَقَةٍ مِنْ تِلْكَ الوَرَقَاتِ المِسْكِيْنَةِ المُحَطَّمَةِ".

قَالَتْ (شَيْمَاءُ): "حَاوِلِي أَنْ تَنَامِي، وَلَكِنْ عَلَيَّ الآنَ أَنْ أَطْلُبَ مِنَ العَجُوْزِ (إِبْرَاهِيْمَ) أَنْ يَأْتِيَ إِلَى هُنَا لِأَرْسُمَهُ فِي لَوْحَتِي، لِذَا لَنْ أَغِيْبَ طَوِيْلاً، فَلَا تَتَحَرَّكِي إِلَى أَنْ أَعُوْدَ".

كَانَ العَجُوْزُ (إِبْرَاهِيْمُ) رَسَّاماً يَعِيْشُ فِي الطَّابَقِ الأَرْضِيِّ فِي البِنَاءِ الَّذِي تَسْكُنُهُ (شَيْمَاءُ) و(جِيْهَانُ)، وَكَانَ قَدْ تَجَاوَزَ السِّتِّيْنَ مِنَ العُمْرِ، وَيَتَمَيَّزُ بِلِحْيَتِهِ الكَثَّةِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَاجِحاً فِي الرَّسْمِ، مَعَ أَنَّهُ حَاوَلَ كَثِيْراً، وَلَمْ يُكْتَبْ لَهُ التَّوْفِيْقُ، لِذَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَكْسِبَ بَعْضَ المَالِ مِنْ سَمَاحِهِ لِلْفَنَّانِيْنَ الجُدُدِ بِرَسْمِهِ فِي لَوْحَاتِهِمْ.

وَجَدَتْ (شَيْمَاءُ) العَجُوْزَ (إِبْرَاهِيْمَ) فِي غُرْفَتِهِ المُعْتِمَةِ أَسْفَلَ البِنَاءِ، وَشَاهَدَتْ فِي بَعْضِ زَوَايَا شُقَّتِهِ لَوْحَةً

زَيْتِيَّةً فَارِغَةً مَوْضُوْعَةً عَلَى حَامِلٍ، فَقَدْ بَقِيَتْ تِلْكَ اللَّوْحَةُ عَلَى حَالِهَا مُنْذُ خَمْسَةٍ وَعِشْرِيْنَ عَاماً، وَهِيَ بِانْتِظَارِ الضَّرْبَةِ الأُوْلَى مِنْ فُرْشَاةِ الفَنَّانِ (إِبْرَاهِيْم)، فَجَلَسَتْ (جِيْهَانُ) مَعَ العَجُوْزِ، وَأَخَذَتْ تُخْبِرُهُ عَنِ اهْتِمَامِ (جِيْهَانَ) بِأَوْرَاقِ اللَّبْلَابِ الَّتِي أَخَذَتْ تُرَاقِبُهَا مِنَ النَّافِذَةِ، وَعَنْ خَوْفِهَا عَلَى صَدِيْقَتِهَا الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تَمُوْتَ عِنْدَ سُقُوْطِ الوَرَقَةِ الأَخِيْرَةِ؛ لِأَنَّهَا -عَلَى مَا يَبْدُو- قَدْ عَقَدَتِ العَزْمَ عَلَى المَوْتِ مَعَ آخِرِ وَرَقَةٍ.

فَصَاحَ بِهَا العَجُوْزُ: "مَاذَا؟ وَهَلْ هِيَ حَمْقَاءُ لِتَعْتَقِدَ أَنَّهَا سَتَمُوْتُ مَعَ آخِرِ وَرَقَةٍ تَسْقُطُ عَنِ النَّبْتَةِ؟ يَا لَهَا مِنْ فَتَاةٍ مِسْكِيْنَةٍ!"

رَدَّتْ (شَيْمَاءُ): "إِنَّهَا مَرِيْضَةٌ جِدّاً، وَلَقَدْ أَنْهَكَتْهَا الحُمَّى، وَجَعَلَتْهَا تَهْذِي".

كَانَتْ (جِيْهَانُ) نَائِمَةً عِنْدَمَا دَخَلَتْ (شَيْمَاءُ) مَعَ العَجُوْزِ إِلَى الشُّقَّةِ، فَأَسْدَلَتْ (شَيْمَاءُ) السِّتَارَ إِلَى حَافَةِ النَّافِذَةِ، وَأَشَارَتْ إِلَى (إِبْرَاهِيْم) بِالذَّهَابِ إِلَى الغُرْفَةِ الثَّانِيَةِ، حَيْثُ بَدَأَ كِلَاهُمَا يَنْظُرُ إِلَى نَبْتَةِ اللَّبْلَابِ الَّتِي





أَقْلَقَتْ (جِيْهَان)، وَعِنْدَمَا اِسْتَيْقَظَتْ (شَيْمَاءُ) فِي صَبَاحِ اليَوْمِ التَّالِي لَاحَظَتْ أَنَّ (جِيْهَانَ) قَدْ بَقِيَتْ مُسْتَيْقِظَةً وَهِيَ تُحَدِّقُ بِالسِّتَارِ بِعَيْنَيْنِ شَاخِصَتَيْنِ كَئِيْبَتَيْنِ.

وَعِنْدَمَا انْتَبَهَتْ (جِيْهَانُ) إِلَى وُجُوْدِ (شَيْمَاءَ) قَالَتْ لَهَا بِصَوْتٍ ضَعِيْفٍ: "اِسْحَبِي السِّتَارَ! أُرِيْدُ أَنْ أَرَى".

فَاسْتَجَابَتْ (شَيْمَاءُ) لَهَا عَلَى مَضَضٍ.

وَكَانَتِ المُفَاجَأَةُ! إِذْ بَعْدَ أَنْ هَطَلَتْ أَمْطَارٌ غَزِيْرَةٌ، وَهَبَّتْ رِيَاحٌ عَاتِيَةٌ طِيْلَةَ اللَّيْلِ، بَقِيَتْ وَرَقَةٌ وَاحِدَةٌ صَامِدَةً عَلَى الحَائِطِ القِرْمِيْدِيِّ، كَانَتْ تِلْكَ وَرَقَةَ اللَّبْلَابِ الأَخِيْرَةَ الَّتِي تَحَوَّلَ لَوْنُهَا إِلَى الأَخْضَرِ النَّاضِرِ، إِلَّا أَنَّ حَوَافَّهَا المُهَلْهَلَةَ كَانَتْ قَدْ صُبِغَتْ بِاللَّوْنِ الأَصْفَرِ دِلَالَةً عَلَى بَدْءِ تَعَفُّنِهَا وَذُبُوْلِهَا.

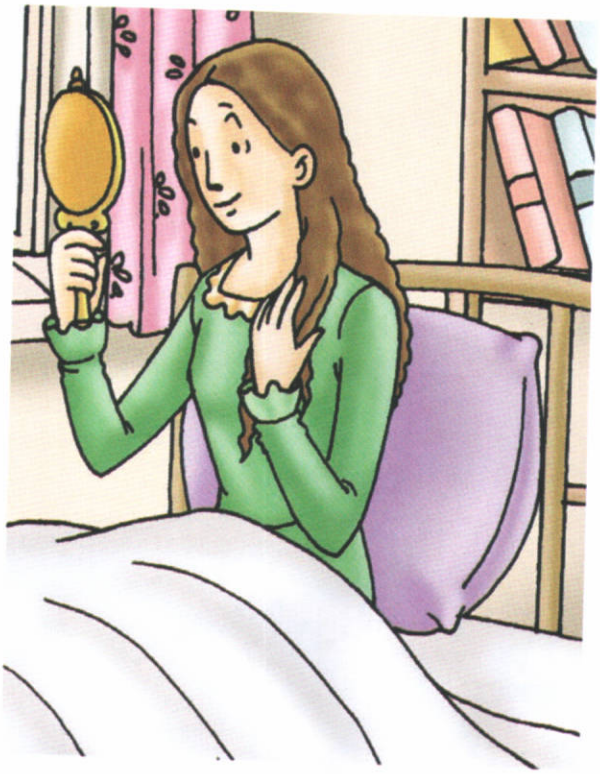
عِنْدَهَا صَرَخَتْ (جِيْهَانُ): "إِنَّهَا الوَرَقَةُ الأَخِيْرَةُ، خِلْتُ أَنَّهَا سَتَسْقُطُ لَا مَحَالَةَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ المَاطِرَةِ، لَقَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ صَوْتَ الرِّيْحِ، وَلَكِنْ يَبْدُو أَنَّهَا سَتَسْقُطُ اليَوْمَ، وَعِنْدَهَا سَأَمُوْتُ".

رَدَّتْ (شَيْمَاءُ)، وَهِيَ تَدْفِنُ وَجْهَهَا المُتْعَبَ دَاخِلَ الوِسَادَةِ: "لَا يَا عَزِيْزَتِي، إِذَا لَمْ تُرِيْدِي أَنْ تُفَكِّرِي بِنَفْسِكِ فَفَكِّرِي بِي عَلَى الأَقَلِّ، كَيْفَ سَأَعِيْشُ دُوْنَكِ؟!!".

إِلَّا أَنَّ (جِيْهَانَ) لَمْ تُزْعِجْ نَفْسَهَا بِالإِجَابَةِ عَنْ ذَلِكَ السُّؤَالِ.

وَانْقَضَى ذَلِكَ اليَوْمُ، وَفِي فَتْرَةِ الغُرُوْبِ تَابَعَتِ الفَتَاتَانِ إِصْرَارَ وَرَقَةِ اللَّبْلَابِ الوَحِيْدَةِ عَلَى التَّشَبُّثِ بِالحَائِطِ، وَعِنْدَمَا حَلَّ المَسَاءُ، أَخَذَتِ الرِّيْحُ تَهُبُّ بِضَرَاوَةٍ، كَمَا بَدَأَتْ حَبَّاتُ المَطَرِ تَضْرِبُ زُجَاجَ النَّوَافِذِ، غَيْرَ أَنَّ وَرَقَةَ اللَّبْلَابِ بَقِيَتْ صَامِدَةً فِي مَكَانِهَا، فَاسْتَلْقَتْ (جِيْهَانُ)، وَأَمْضَتْ وَقْتاً طَوِيْلاً فِي مُرَاقَبَةِ تِلْكَ الوَرَقَةِ، وَمِنْ ثَمَّ نَادَتْ صَدِيْقَتَهَا (شَيْمَاءَ) الَّتِي كَانَتْ تُعِدُّ حِسَاءَ الدَّجَاجِ مِنْ أَجْلِهَا.

وَعِنْدَمَا حَضَرَتْ (شَيْمَاءُ) أَخَذَتْ (جِيْهَانُ) تَتَكَلَّمُ، فَقَالَتْ: "لَكَمْ كُنْتُ غَبِيَّةً يَا (شَيْمَاءُ)! لَقَدْ قَرَّرْتُ أَلَّا أَتَحَسَّنَ، إِلَّا أَنَّ شَيْئاً مَا جَعَلَ هَذِهِ الوَرَقَةَ تَبْقَى فِي مَكَانِهَا لِأَعْرِفَ كَمْ كُنْتُ حَمْقَاءَ، مِنَ الغَبَاءِ أَنْ يَرْغَبَ الإِنْسَانُ فِي المَوْتِ، وَأَنْ يُفَضِّلَهُ عَلَى الحَيَاةِ، فَهَلَّا أَحْضَرْتِ لِي مِرْآةً لِأُشَاهِدَ نَفْسِي، وَلِأَرَى وَجْهِي، وَأُرَتِّبَ شَعْرِيَ الأَشْعَثَ؟ وَهَلْ بِوُسْعِكِ وَضْعُ وَسَائِدَ خَلْفَ ظَهْرِي لِأَتَمَكَّنَ مِنَ الجُلُوْسِ، وَمُشَاهَدَتِكِ وَأَنْتِ تَطْبُخِيْنَ؟"



وَفِي فَتْرَةِ الظَّهِيْرَةِ حَضَرَ الطَّبِيْبُ إِلَى مَنْزِلِ (شَيْمَاءَ) وَ(جِيْهَانَ)، فَتَحَدَّثَتْ إِلَيْهِ (شَيْمَاءُ) عَلَى انْفِرَادٍ حَوْلَ وَضْعِ صَدِيْقَتِهَا، فَطَمْأَنَهَا الطَّبِيْبُ بِأَنَّ فُرَصَ شِفَائِهَا بَاتَتْ أَفْضَلَ، إِلَّا أَنَّهَا مَا تَزَالُ بِحَاجَةٍ إِلَى مَزِيْدٍ مِنَ العِنَايَةِ.

وَأَنْهَى الطَّبِيْبُ الحَدِيْثَ قَائِلاً: "عَلَيَّ أَنْ أُعَايِنَ حَالَةً أُخْرَى فِي الطَّابَقِ السُّفْلِيِّ، وَأَظُنُّ أَنَّ المَرِيْضَ هُوَ (إِبْرَاهِيْمُ) الفَنَّانُ، الَّذِي بَدَأَ يُعَانِي مِنَ الالْتِهَابِ الرِّئَوِيِّ، وَهُوَ رَجُلٌ عَجُوْزٌ



ضَعِيْفُ البِنْيَةِ، وَإِصَابَتُهُ شَدِيْدَةٌ وَخَطِيْرَةٌ، وَلاَ أَمَلَ فِي شِفَائِهِ، إِلَّا أَنَّنِي سَأُرْسِلُهُ إِلَى المَشْفَى اليَوْمَ لِيَرْتَاحَ فِي أَيَّامِهِ الأَخِيْرَةِ، فَهَذَا كُلُّ مَا بِوُسْعِي أَنْ أُقَدِّمَهُ لَهُ".

وَعِنْدَمَا أَتَى الطَّبِيْبُ لِزِيَارَةِ (شَيْمَاءَ) فِي اليَوْمِ التَّالِي طَمْأَنَهَا عَلَى صِحَّةِ صَدِيْقَتِهَا بِقَوْلِهِ: "لَقَدْ تَجَاوَزَتْ صَدِيْقَتُكِ مَرْحَلَةَ الخَطَرِ، وَكَسِبْنَا الرِّهَانَ".

وَفِي فَتْرَةِ القَيْلُوْلَةِ دَخَلَتْ (شَيْمَاءُ) إِلَى غُرْفَةِ صَدِيْقَتِهَا، وَجَلَسَتْ قُرْبَ السَّرِيْرِ الَّذِي كَانَتْ تَنَامُ فِيْهِ (جِيْهَانُ)، وَبَدَأَتِ الحَدِيْثَ بِقَوْلِهَا: "أُرِيْدُ أَنْ أُخْبِرَكِ شَيْئاً، لَقَدْ تُوُفِّيَ السَّيِّدُ (إِبْرَاهِيْمُ) اليَوْمَ فِي المَشْفَى بِمَرَضِ الالْتِهَابِ الرِّئَوِيِّ الَّذِي عَانَى مِنْهُ مُدَّةَ يَوْمَيْنِ فَقَطْ، حَيْثُ وَجَدَهُ البَوَّابُ فِي صَبَاحِ اليَوْمِ الأَوَّلِ عَاجِزاً عَنِ الحَرَكَةِ مِنْ شِدَّةِ الأَلَمِ، وَكَانَتْ مَلاَبِسُهُ كُلُّهَا مُبَلَّلَةً، وَكَذَلِكَ حِذَاؤُهُ، وَلَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ أَيْنَ قَضَى تِلْكَ اللَّيْلَةَ المُوْحِشَةَ، وَمِنْ ثَمَّ وَجَدَ سُكَّانُ البِنَاءِ مِصْبَاحاً بَقِيَ مُشْتَعِلاً، وَسُلَّماً يَبْدُو أَنَّهُ سَحَبَهُ مِنْ مَكَانِهِ، إِضَافَةً إِلَى بَعْضِ فَرَاشِي الرَّسْمِ المُبَعْثَرَةِ، وَلَوْحَةِ الأَلْوَانِ الَّتِي مَزَجَ عَلَيْهَا اللَّوْنَ الأَخْضَرَ وَالأَصْفَرَ.

وَالآنَ، أُنْظُرِي يَا عَزِيْزَتِي مِنَ النَّافِذَةِ، وَرَاقِبِي وَرَقَةَ اللَّبْلاَبِ الأَخِيْرَةَ الَّتِي بَقِيَتْ عَلَى النَّبْتَةِ، أَلاَ تَشْعُرِيْنَ بِالدَّهْشَةِ لِبَقَائِهَا فِي مَكَانِهَا، وَعَدَمِ اقْتِلاَعِ الرِّيْحِ لَهَا؟ أَجَلْ يَا عَزِيْزَتِي (جِيْهَانُ)، إِنَّهَا لَمْ تَكُنْ أَكْثَرَ مِنْ لَوْحَةٍ رَائِعَةٍ رَسَمَهَا (إِبْرَاهِيْمُ) الفَنَّانُ بَعْدَمَا سَقَطَتِ الوَرَقَةُ الأَخِيْرَةُ".



الْزَمْ ذلِكَ



هَلْ كَرَّرْتَ مُحاوَلَتَك وَفَشِلْتَ؟
حَاوِلْ مَرَّةً أُخْرَى!
هَلْ تَمَلَّكَ اليَأْسُ قَلْبَكَ؟
حَاوِلْ مَرَّةً أُخْرَى!
لَا تَسْتَسْلِمْ، وَتَحَلَّ بِالشَّجَاعَةِ!
وَعَاهِدْ نَفْسَكَ عَلَى التَّغَلُّبِ عَلَى الفَشَلِ،
وَقُلْ لِنَفْسِكَ: "أُرِيْدُ أَنْ أَنْجَحَ"
فَلَعَلَّكَ تَسْتَطِيْعُ بِذَلِكَ تَحْقِيْقَ أَمَانِيِّكَ
حَاوِلْ مَرَّةً أُخْرَى!
ثَابِرْ وَلَا تَسْتَسْلِمْ
حَاوِلْ مَرَّةً أُخْرَى!
وَاسْتَكْشِفْ طَرِيْقَ النَّجَاحِ
فَالنَّجَاحُ يَعْنِي السَّعَادَةَ
حَاوِلْ مَرَّةً أُخْرَى!
وَالْتَزِمْ مُتَابَعَةَ مَا بَدَأْتَ
حَاوِلْ مَرَّةً أُخْرَى!
وَلَا تَتْرُكِ العَمَلَ فِي مُنْتَصَفِ الطَّرِيْقِ
حَاوِلْ مَرَّةً أُخْرَى!
وَعُدَّ الفَشَلَ مُجَرَّدَ تَجْرِبَةٍ
وَلَا تَتَوَقَّفْ، بَلْ خُذِ اسْتِرَاحَةً
إِلَى أَنْ تَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّكَ بَذَلْتَ مَا بِوُسْعِكَ
حَاوِلْ مَرَّةً أُخْرَى!